.....

لقاء

حكاية صالح آل الشيخ

لمعالي الشّيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

الأول من شهر رمضان لعام 1446هـ

اعتنىٰ بها

سالم بن محمَّد عبد الملك

النُّسخة الإلكترونيَّة (1)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

باسمكم جميعًا أرحِّب بضيفي، معي الشَّيخ صالح آل الشيخ، وزير الدَّولة وعضو مجلس الوزراء. حياك الله يا شيخ.

أهلًا وسهلًا.

الشهر عليك مبارك،

الشهر عليك مبارك.

نحن سعيدون جدًّا بوجود معاليك.

وأنا كذلك، أشكرك علىٰ الاهتمام.

ودِّي أبدأ من البداية العلمية للشَّيخ صالح. وأنا أبحث، لفتَ نظري أنَّ الشَّيخ صالح آل الشيخ كان طالبًا في كلية الهندسة، وقُبيل التَّخرُّج، وكان متفوِّقًا، فجأة يقرِّر أن يتحوَّل إلىٰ الدِّراسات الشَّرعيَّة في كلِّيَّة أصول الدين ويترك كلية الهندسة. لماذا غيرت المسار؟

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم،

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله.

أوَّلًا، يطيب لي أن أشارك في برنامجك المميِّز النَّاجح، ومع رجل يحترمه الوطن لأدائه ونجاحاته في الحوارات الَّتي رَفعت من وعي الإنسان السُّعودي في فهمه لقضاياه وفي فهمه لمصالحه، وأيضًا أعطت خارج الوطن صورةً عمَّن نكون ومن نحن، وكيف نعالج أمورَنا، وكيف نتناقش ونصل إلىٰ مقتضىٰ الخيْر والمصلحة لوطننا..

هذه شهادة أعتز بها والله، شيخ.

الله يحفظكم، ثمَّ إنِّي أهنِّئ خادم الحرمين الشَّريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، وسموّ ولي عهده الأمير محمَّد بن سلمان، بقدوم شهر رمضان المبارك، سائلًا الله جَلَّوَعَلَا أن يتقبَّل منهم جميعًا الصِّيام والقيام، وأن يجيب لهم ولنا صالح الدَّعوات.

البداية، بداية أيّ شابٍّ سعودي يدرس دراسة عادية: الابتدائي، المتوسِّط، الثَّانوي. في ذلك الوقت، كانت الثَّانوية تُقسم إلىٰ قسمين: قسم أدبي وقسم علمي. كنتُ أميل إلىٰ الأقسام العلميَّة: الرِّياضيات، الفيزياء، الكيمياء، وغيرها، فدخلت القسم العلمي. القسم العلمي كان يبدأ من الصَّف الثَّاني الثَّانوي،

أمَّا الأوَّل الثَّانوي فكان عامًّا، ثم في الصَّف الثَّاني الثَّانوي كان علىٰ الطَّالب أن يختار بين التَّخصص العلمي أو الأدبي.

عندما تخرَّجنا من الثَّانوية بالقسم العِلْمي، اتَّجه زملائي وأصدقاء المرحلة إلىٰ الهندسة، فاتَّجهت معهم لأنَّها كانت الأقرب، وكان أقرب اتِّجاهين لنا هما الطِّب أو الهندسة في ذلك الوقت، للطلَّاب الَّذين يهتمُّون بالجانب العلمي.

اتَّجهنا للهندسة مع المجموعة وكان الاتِّجاه للهندسة لأجل أنَّ فيه ميل للتَّخصُّص العلمي.

التَّخصُّص العلمي كنت أميل إليه سواء كان المواد العلمية الرِّياضيات فيزياء كيمياء أو ما يتَّصل بذلك من الميكانيكا وإلىٰ آخره.

في كلِّية الهندسة وجدتُ نفسي، وجدت المناقشة العقليَّة التي أحبُّها، وجدت المواد الَّتي أحبُّها، وجدت البيئة الَّتي فيها مناقشة عقليَّة قويَّة، فيها بحثٌ عن البرهان، فيها بحثٌ عن المشكلة وحلِّها، فيها فهم حقائق الأشياء، حولنا أشياء كثيرة كنا نتطلَّع كيف تُبنىٰ البناية، وكيف تُصنع السَّيَّارة، وكيف تطير الطيَّارة، إلىٰ آخره. وأذكر في ذلك الوقت المبكر كنت اقتنيت كتابًا بالإنجليزي حوالي 27 أو 30 مجلدًا "How Things Work "، يعني للأشياء كيف تعمل، فكان عندنا هذا النَّهم كشباب، وكنَّا مجموعة عندنا هذا الهاجس.

دخلنا كلِّيَّة الهندسة، وانسجمت فيها. الهندسة فيها تخصُّصات؛ فيها تخصُّص العمارة، وفيها تخصُّص الهندسة المدنيَّة، فيها تخصُّص الهندسة الميكانيكيَّة، والهندسة الكيميائية، وفيها تخصُّص الهندسة الكهربائية.

أنا اخترت الهندسة الكهربائية مبكِّرًا. الهندسة الكهربائيَّة فيها ما يتعلَّق بعمل كلّ ما له صلة بالكهرباء، سواء الدِّينامو أو إنتاج الكهرباء أو الإلكترونيَّات والدَّوائر الصَّغيرة.

فذهبت إلىٰ الدَّوائر الصَّغيرة باختصار، التي هي كيف يعمل الرَّاديو، كيف يعمل المسجِّل، وكيف يعمل التِّلفزيون، وكيف يعمل.. إلىٰ آخره.

وذهبتُ إلىٰ Electronics Engineering (هندسة الإلكترونيات)، اهتممت بها، مشيت فيها عدَّة سنوات، وكانت مناسبة لي لعقليَّتي وفكري، وإلىٰ آخره، لأنَّه يعني تحلّ عندي إشكالات، عندي أنا أسئلة دائمة. يمرُّ عندي شيء، لازم أوجه أسئلة، فحلَّت عندي جزءًا من الفضول العلمي في ذلك

الوقت.

والشَّباب له اهتماماتُه، والسَّبب أيضًا أن بيتنا كان جادًّا. بيتنا في النَّشأة العلميَّة، في النَّشأة المدرسيَّة كان جادًّا. الوالد كان جادًّا، والوالدة رَحِمَهَا ٱللَّهُ كانت جادَّة، كانت تتابعنا في الصَّغيرة والكبيرة، فكانت بيئتنا جادَّة، فاخترنا هذا يعني الاتِّجاه الجاد، وأثَّر فينا النَّشأة الجادَّة في اختيارنا لهذا المسار.

لكن لماذا، لماذا في نفس الوقت وأنت تدرس الهندسة قدَّمت بحثًا في الحديث في مجلَّة ونُشر؟

الاهتمام الشَّرعي كيف وُلِد؟ من أين بدأ؟

هو وُلِد في الحقيقة في ثانية ثانوي. في ثانية ثانوي بدأ عندي الاهتمام الشَّرعي بسبب قصَّة لطيفة.

كان عندنا أستاذ في الثَّانوي يدرِّسنا موضوعًا، أظن موضوعات اللُّغة العربيَّة أو شيء من ذلك، فطرح علينا أن نقرأ كتابًا عن ديمقراطيَّة عمر أو اشتراكيَّة عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فأنا أذهلني السُّؤال والبحث، ذهبتُ وحاولت أنِّي أبحث عن الكتاب، بحثت عنه، وجدته، أذكر في مكتبة اللِّواء، كانت في شارع الوزير، وأخذته وبدأت أقرأ فيه.

وسألتُ الوالد عنه، قال: هذا ليس علىٰ المنهج، وهذا كتاب في كذا، وادِّعاء أنَّ الخلفاء كانوا علىٰ اشتراكيَّة، هذا انهزام أمام الفكرة الاشتراكيَّة الَّتي كانت سائدة في مصر وفي الشَّام في ذلك الوقت، فأنت لا تستفيد من هذه الكُتب.

قلت له: ما رأيك أن أردّ عليه؟

قال: ما تقدر تردّ عليه فكريًّا، لكن شوف الأحاديث التي تكلَّم عنها، وابدأ شوف، هل هي أحاديث صحيحة أم لا، واستدل بها، إلىٰ آخره.

المهم، بدأنا في تدوين الأحاديث والتَّخريج، فأعطاني الوالد في ذلك السِّن المبكرة من مكتبته كتاب «الباعث الحثيث لعلوم الحديث» لابن كثير، وكان بتحقيق الشَّيخ أحمد شاكر، وكان بإهداء أحمد شاكر للوالد، وأحمد شاكر كان صديقًا للوالد صداقة طويلة الأمد.

فأخذتُ الكتاب وقرأت، وبدأتْ سلسلة، فمضيت في الاتِّجاه إلىٰ الحديث والإسناد وتخريج الأحاديث مبكِّرًا مع اهتمام العلم التَّام.

والسَّبب أنَّ الحديث له قواعد، يعني: لماذا؟ الحديث علم غير سائِب؛ له قواعد دقيقة، الَّذي يمشي عليها كأنَّه يمشي علىٰ معادلات.

هذا إسناد ينتقل من رجلٍ إلىٰ رجلٍ، وهذا لازم يكون ثقة، والَّذي بعده ثقة، طريقة التَّواصل بينهم كيف، وطريقة المعايشة، هل عايشوا بعضهم معايشة صحيحة؟ أين أخذوا؟ وإلىٰ آخره.

فكانت العقلية تناسب الجهتين،

لكن هذه تعطيك أيضًا عقلية ناقدة، لأنَّ الحديث فيه نقد عالٍ،

وكذلك الهندسة، الهندسة هي التَّشكيك في الأشياء، يعني كلّ هذا كيف قام؟ وإلىٰ آخره. مثل ما يقولون في الهندسة: عندك معادلة لا يمكن أن تُحلّ إلَّا بطريقةٍ واحدةٍ.

عندك معادلات شائكة، سواء كانت في الرِّياضيات أو في الفيزياء أو في الميكانيكا، كلَّها لازم تُحل بطريقة واحدة، فأنت إن حلَّيتها غلط، لازم تحاول مرَّة ثانيةً، إذا حاولتَ مرَّةً ثانيةً، لازم تحاول بطريقةٍ أخرىٰ، يعني: لا يمكن تحاول مرَّتين بنفس الطَّريقة. وكانوا يقولون لنا في كلِّية الهندسة كلمة أينشتاين المشهورة، أنه يقول: "من أعاد تجربةً واحدةً مرَّتين بنفس المُعطيات فهو يتَّهمه بالغباء؛ لأنَّه لن تصل إلىٰ نتيجةٍ مختلفةٍ وأنت تعمل نفس الخَطوات، ونفس المعطيات.

وهذه أعطتنا أنَّه إذا أُغلق الباب، تذهب إلىٰ بابٍ آخر، وإذا صار عندك غلط، لازم تبحث في منطقةٍ أُخرىٰ، وإذا صار عندك شكوك، لازم توسِّع دائرة المعلومات حتَّىٰ تحلَّ هذه الشُّكوك. فهي: كانت رائعةً جدًّا؛ التزامن ما بين الاهتمام بتخريج الحديث المبكر مع ....

لكن لماذا قبل التخرُّج بقليل قررتَ أن تترك الهندسة وتعود لدراسة العلوم الشَّرعيَّة؟ لماذا أخذت هذا القرار؟

كانت الحاجة ملحَّةً لاتِّخاذ القرار؛ لأنَّه إذا تخرَّجتُ، سأصبح مهندسًا، وهو شرف، وما في شيء يُعيب أن أكون مهندسًا، بل بالعكس، أفتخر بذلك، وأحترم كلَّ المهندسين؛ لأنَّهم عقولٌ نافعة، والبشرية كلَّها بُنيت بالهندسة. الَّذين أسدوا للبشريَّة نفعًا في حياتهم هم المهندسون، هم الَّذين اخترعوا، وهم الَّذين عملوا، وهم الَّذين بنوا الطُّرق والمباني، وهم الَّذين مدُّوا جسور الحياة، وهم الَّذين قدَّموا التِّقنية المفيدة الَّتي سهَّلت الحياة، فكلَّها عمل مهندسين.

ثلاثة أرباع الحياة هي عمل مهندسين، والطِّب فهو جزءٌ، والباقي ينظِّمون الحياة. فبالعكس، كانت الهندسة جيِّدةً، لكنّني ذهبتُ لدراسة العلوم الشَّرعية لضرورةٍ نفسيَّة، وكنت أحضر مع الدِّراسة مجالس المشايخ ودروس الشَّيخ ....

الشيخ عبد العزيز بن صالح المرشد في ذلك الوقت لم يكن له تأثير في قرارك؟

لا، لم يكن له تأثيرٌ في تغيير قراري، لكن اتصالي به كان مبكراً، قبل سنة 1400 هـ، وكنت أحضر عنده شبه يوميٍّ بعد المغرب، ودرستُ عليه، أو قرأتُ عليه الكثير من الكتب، وحضرتُ قراءةَ آخرين أيضًا. وكان وقورًا جليلا ورعًا زاهدا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، الشيخ عبد العزيز بن صالح المرشد كان صديقًا للجدِّ الشيخ محمد بن إبراهيم، واستفدتُ منه كثيرًا في سيرة علمائنا الأوَّلين، وطريقة التَّعامل في الحياة مع أهل التَّوحيد، وأهل السُّنّة، ومع المختلِفين من أهل البدع. واستفدتُ منه كثيرًا جدًّا في هذه الجزئيَّة.

في تلك الفترة، كان هناك من يهتمُّ بالفقه، ومن يهتم بالتَّوحيد، لكن لم يكن علم الحديث رائجًا. وعندما بدأت الطَّلب في الحديث، لم يكن الطَّريق مريحًا في ذلك الوقت،

صحيح؛ لأنَّ البحث الحديثي صعبٌ، ويتطلَّب جهدًا،

خاصة البيئة.

في ذلك الوقت، جاء جيلٌ يتحدَّث كثيراً في الأحاديث، ومع وجود الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، والكتب التي ألَّفوها، أصبح الشَّباب يتناولون الحديث بين صحيحٍ وضعيفٍ، فأحببتُ أن أشارك، وألَّا أُقلِّد. فدخلتُ في هذا المجال، لكن بعد ذلك صار توجُّهي متعمِّقًا أكثر في العقيدة والتَّوحيد.

أفلاطون يقول: "من لم يدرس الهندسة، لا يدخل بيتي".

صحيح (من لم يكن مهندسًا فلا يدخل دارنا). لماذا قالها؟ أفلاطون أحد حكماء اليونان قالها، لأنَّ الهندسة أحد فروع الفلسفة. الفلسفة اليونانيَّة ستَّة أقسام، أحد أقسامها الهندسة.

الفلسفة تشمل الطَّبيعة، وما بعد الطَّبيعة. في بعض الكتب، يُترجمون "ما بعد الطبيعة" إلىٰ "ما وراء الطبيعة"، فيظنُّون أنَّها تعني الإلهيات أو الغيبيَّات، لكن الترجمة الصَّحيحة، كما جاءت في كتب ابن رشد وغيره، أنَّ أرسطو وأفلاطون كتبوا عن الطَّبيعة لأنَّهم كانوا يدرسون مسائلها فلسفيًّا. الفلسفة قائمةٌ علىٰ السُّؤال: ما هية الأشياء، حقيقة الأشياء؟ كيف يعمل هذا؟ كيف يوجد؟ كيف يقوم؟ كيف يُبنىٰ؟ ففيه طبيعة متنوِّعة ؛ طبيعة الإنسان طبيعة الماء، طبيعة الجبل، طبيعة المطر، طبيعة الثلج، طبيعة المادة، الحرارة، البرودة، الامتداد، يعني أنواع الضواهر

بعد باب الطبيعة، كتبوا عما يسمونه "الميتافيزيقا"، أي الغيبيات، وهو الشيء الذي لم يضع له عنوانا،

فسموه (ما بعد الطبيعة)، أي ما بعد باب الطبيعة، وليس "ما وراء الطبيعة".

من أقسام الفلسفة الهندسة،

ومن أقسامها علم الأوتار أو الصوتيات. ولذلك، علم الأوتار والصوتيات مرتبطٌ كلِّيًّا بفهم حقيقة الأصوات الَّتي تأتي، وكيف تأتي، وكيف تهتز وتُحدث نغمًا. هذه مباحث فلسفية دقيقةٌ ومبكرةٌ،

ثم يأتي بعدها علم الجمال، وعلم الأخلاق،

وفيها علم السِّياسة، وفلسفة التَّأثير باللِّسان.

أتيت بهذه المقولة حتَّىٰ تكون مدخل لسؤالٍ مهمّ: دراستك للرياضيات.

تحبّ تحوِّلني مهندسًا! في الحلقة..

لمَّا درستَ الرِّياضيات والهندسة، وأيضًا عندك قراءات مبكِّرة في الفلسفة؟ ودراستك الشَّرعية، هل أثَّرت هذه الدِّراسات علىٰ نظرتك العلميَّة وقراءتك الشَّرعيَّة، أم لم تؤثِّر؟

بالطبع، هي متكاملة. في نظري، الأمور متكاملةٌ منذ البداية، لأنَّ الأمور هي دين وحياة؛ شيئان مترابطان. هناك شيءٌ يدركه الإنسان، وشيءٌ لا يستطيع إدراكه؛ وهو الغيبيَّات، وهذه لا بد فيها من وحي.

أمَّا الفلاسفة، فلم يصلوا إلىٰ شيءٍ يقينيٍّ بشأنها، فانقسموا بين نفاةٍ، ولا أَدْرِيِّين، ومن يضعون سيناريوهاتٍ لبداية الكون، لكنَّها غير يقينيَّة؛ احتمالات.

فعندنا في الإسلام، الدِّين والعقيدة يتحدثان عن أشياءَ لا تغطيها العلوم الحياتية. العلوم الفلسفيَّة والعلوم الطبيعيَّة وغيرها ليست متعارضةً مع الدِّين؛ بل متكاملةٌ معه. الدِّين والحياة، العقيدة والحياة، العلوم العصريَّة النافعة للإنسان، كلها شيءٌ واحدٌ متكاملٌ ما فيها تعارض.

الَّذي صنع التَّعارض هو الإنسان، حين جعل الحياة في مواجهة الدِّين. وهذا ناتجٌ عن الصِّراع والإنهزام الذي حدث في أوروبا بين الكنيسة والعلماء خلال النَّهضة الصِّناعية وكوبر نيكس، مما جعل الأوروبيين، ومن تأثر بهم، يظنُّون أنّ الإسلام كذلك فيه صراعٌ بين الدِّين والحياة.

لكنَّ الإسلام ليس كذلك؛ بل هو الذي صنع حضارةً امتدَّت لألف سنةٍ استفادت منها البشريَّة.

القرآن يدعو إلىٰ إعمال العقل فيما ينفع الإنسان، وليس في استكبار العقل في مواجهة الألوهية، العقل مطلق، يمكن أن تنطلق به إلىٰ كل شيء، فإن تكبر وأصبح يناقش ربَّ العالمين، هنا دخل في منطقة

تضرُّه، ولا تنفع ولا يصل فيها إلىٰ نتيجة، النِّهاية:

إمَّا أن يصل إلىٰ إيقان بالوحي، إذا وُفِّق ودرس الحقائق كاملة،

وإمَّا أن يصل إلىٰ "لا أدري"،

وإمَّا أن يصل إلىٰ شكّ،

وإمَّا أن يصل إلىٰ رفض.

نقول: هنا الإسلام يصنع الحياة؛ لكنَّه لا يصنعها كما يصنعها التَّفكير الغربي الَّذي كان في مواجهة مع الكنيسة. عندما جاءت النَّهضة الصِّناعية والعلوم ألغت العلوم الفلسفة التي نسمِّيها الفلسفة الاستقرائيَّة، وهي الفلسفة التي كان عليها اليونان، ثم حاولت فلسفة الكنيسة التَّأثير في ميدان الفلسفة، فظهرت مدرسة في الكنيسة الأوروبِّية تُسمَّىٰ المدرسة "الإسكولائية"، يقودُها أحد كبار الكنسيِّين، الفيلسوف توما الأكويني، وله كثير من الكُتب والنَّشرات، وحاول أن يجد تقاربًا، لكن العقيدة النَّصرانيَّة وممارسات الكنيسة وطريقتهم حالت بينهم وبين مُعطيات النَّهضة الصِّناعيَّة، لذلك صار هناك بُعد كبير.

أمَّا فلسفة العلوم، ففلسفة العلوم التَّجريبيَّة محترمة؛ لأنَّها لا تدخل في نظريات؛ بل تعتمد علىٰ التَّجربة. فالتَّجربة تُقاس بأن يُعرض لها الخطأ، فإذا لم يواجهها خطأ، تصبح التَّجربة صحيحة، والنَّتيجة صحيحة. هذا النَّوع من الفلسفة كان يُعتبر سابقًا ضمن الفلسفة الاستقرائية التي تبنّاها أرسطو وأفلاطون وغيرهم، حيث كانوا يستقرئون الحالات لإثبات الحقيقة، وهذا الاستقراء قد يكون كاملًا أو ناقصًا أو ناضجًا أو غير ناضج.

عندما جاءت العلوم التَّجريبية والفلسفة التَّجريبيَّة والمنطق التَّجريبي والمنطق الرِّياضي، ظهر منطق جديد يناسب الاستقراء، وهو المنطق الصُّوري (منطق أرسطو)، ثم نشأ منطقٌ جديد يُسمَّىٰ المنطق الرِّياضي أو المنطق التَّجريبي، وكتب فيه مجموعة من الأوروبِّيِّين والأمريكيِّين وغيرهم.

المهم أنَّ الدِّين الإسلامي يصنع الحياة، وليس ضدَّها؛ لكن لمن يفهم العلاقة بينهما.

من الواضح أنَّ دراسة الشَّيخ صالح للرِّياضيات والهندسة وقراءته في الفلسفة أثَّرت بشكلٍ كبيرٍ علىٰ تعاطيه مع العلوم الشَّرعيَّة، خاصَّةً في علم الاحتمالات والتَّفكيك؟

صحيح، وفي أهمِّيَّة البُرهان في القضايا الغيبيَّة، القضايا الغيبيَّة لا بد من التَّعامل معها بالبرهان، والبرهان لا بد أن يكون يقينيًّا. اليقين إمَّا أن يكون بشيءٍ مشهود بالحواس، أو يكون وحيًا، ولإثبات

صحَّة الوحي هناك براهين، دعا الله جَلَّوَعَلَا إليها في القرآن: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾[سبأ:46].

الله جَلَّوَعَلَا يدعو النَّاس إلىٰ التَّفكُّر حتىٰ يدركوا أنَّ هذه الرِّسالة حقٌّ. فإذا أردت الوصول إلىٰ الحقيقة، فإمَّا أن تكون دنيويَّة لها منطقها، أو غيبيَّة تحتاج إلىٰ براهين تثبت صحَّة الوحي الإلهي، ووجود الله جَلَّوَعَلَا، والرِّسالة، والقرآن، وهذا لا بدَّ أن يُبنىٰ علىٰ البراهين وليس بالنَّظر المجرَّد، بل بطريقة البراهين التي دعا إليها القرآن، وبطريقة البراهين التي يقل معها احتمال الخطأ.

لهذا السَّبب، اتجهتُ بعدها إلىٰ دراسة العقيدة بعُمق.

من مشايخك في العقيدة أكثر؟

العقيدة نوعان:

1. **توحيد العبادة**: عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له، وبُطلان عبادة ما سواه.
2. **العقيدة العامَّة**: تفصيل الكلام علىٰ الغيبيَّات بشكل عام.

علماؤنا جميعهم يجيدون النَّوعين. درستُ العقيدة علىٰ والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كثير من الأبواب والمسائل، وعلىٰ الشَّيخ عبد العزيز بن صالح بن مَرشد، وحضرتُ دروس سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشَّيخ المُفتي، وكذلك الشَّيخ صالح الفوزان، وقد راجع لي كتابًا أصدرتُه عام 1406هـ، وكان عمري حوالي 27 سنة، وهو كتاب في التوحيد، راجعه الشَّيخ صالح مراجعة دقيقة.

الكتاب كان ردًّا علىٰ المالكي؟

كتاب أظنه في التوحيد وفي مسائل الاعتقاد وعبادة الله وحده، وكذلك موضوعات التبرّك والتَّوسُّل وغيرها من القضايا التي يقلِّد فيها النَّاس تقليدًا غير صحيح، وكان لي ردّ قوي فيها، وراجعه المشايخ ووالدي أيضًا. دخلتُ في هذا المجال مبكِّرًا، وكان ذلك بفضل الله جَلَّوَعَلَا.

عندي فضول أعرف علاقتك بشيخ المحقِّقين محمود شاكر؟ فهو شيخ غير تقليدي في مساره العلمي.

في مساري العلمي استمعتُ إلىٰ أشرطة الشَّيخ محمَّد الأمين الشِّنقيطي، وهو عالم جليل، أصولي، مفسِّر، كان له أشرطة فيها تفسيره، أنا ما أدركته لأنَّه توفِّي قبل اهتمامي بالعلم؛ لكن تسجيلاته موجودة، وكان كثير الاحتجاج في التَّفسير وعلوم الشَّريعة باللُّغة العربيَّة. سألتُ والدي قلت أريد أهتم باللغة

العربية وبالأدب وبالشعر، فقال لي: "نعم، ضرورَّية، ولكن ادرس النَّحو أوَّلًا، ثم الصَّرف، وحاول تحفظ الألفية، وانظر من يعينك في هنا وفي مصر، أرشدني والدي إلىٰ الأستاذ محمود محمَّد شاكر، وهو سلفيَّ الاعتقاد، قوي الغيرة علىٰ اللُّغة العربية والأمَّة الإسلامية، وواجه كثيرًا من المحاولات التي أرادت أن تأخذ اللُّغة العربيَّة إلىٰ الحداثة اللِّسانية حسب المدارس الموجودة في فرنسا وغيرها.

سافرتُ إلىٰ مصر، والتقيتُ به في بيته، كان مرحِّبًا بي ترحيبًا كبيرًا، جزاه الله عنا خير الجزاء، وقرأت عليه بعض الكتب في العلم واللُّغة، وكنتُ أسأله كثيرًا. وعندما كان يأتي إلىٰ الرياض، كان يزورني يوميًا.

زكان نعتبره هو الباعث لغيرة الشَّباب علىٰ لغتهم وأمَّتهم العربيَّة والإسلاميَّة، وكان يسعىٰ لتحصين الأمَّة من الاختراق عبر اللغة. ولذلك، كتب كتاب «الرِّسالة في الطَّريق إلىٰ ثقافتنا»، وأيضًا في مقدِّمة كتابه «المتنبِّي» .

كنتَ حينها مهتمًّا بعلم الحديث، فجمعتَ الأصول اللُّغويّة لهذا العلم وعرضتَها عليه؟

كان هذا جزءًا من نشاط الشَّباب، حيث إنَّ الفقهاء لديهم لغة خاصَّة بهم، ولكن لغة المحدِّثين لم تكن موثقة بالشَّكل الكافي. وبدافع اهتمامي، قرَّرتُ أن أكتب شيئًا عن هذا الأمر.

فألّفتُ كتابًا في لغة المحدِّثين، تناولت فيه أصل تسمية "الخبر"، و"الأثر"، والاشتقاقات اللُّغوية لمصطلحات مثل "المرسل"، "المعضل"، و"المنقطع" و"المعلول" و"الشَّاذ". كنتُ سعيدًا جدًّا بهذا العمل، إذ دفعني إلىٰ مراجعة العشرات من كتب اللُّغة ودراستها خلال فترة نشاط علمي مكثَّف.

حينما كان في الرياض، في أحد زياراته للرياض، قلت: لدي مؤلَّف صغير، في لغة المحدِّثين، قال: طيب هاتِه، فأخذت أقرأ عليه، قال: أيوه، أيوه، ثم قال لي: "يا بُني، هذا عبث شباب". فقلتُ له: "ولكنَّه مفيد!". فأجابني: "هذه اصطلاحات بلا فائدة عمليَّة، أمَّا لغة الفقهاء فلها تطبيق واضح".

أنتَ سألتَه قلتَ له: دلَّني علىٰ كتابٍ، ايش قال لك؟

هـٰذا في مكانٍ آخر، هـٰذا من أوائل ما التقيت الأستاذ محمود شاكر، هو يعمل صدمة، أحيانًا التَّربية تكون بالصَّدمة، يعني أنت قد المسؤولية أو مش قدَّها، أنت تتحمَّل، فيأتيك غيرة علىٰ نفسك: أنا قدها، عنده هـٰذا اللَّعب النَّفسي، فقلت له أريد كتابًا أقرأه، فقال: "اقرأ «لسان العرب» لابن منظور".

استغربتُ، فقلتُ: "لكن أستاذنا «لسان العرب» يقع في 20 مجلدًا!"، فردّ: "أنا قرأته علىٰ شيخي مرتين، فإن لم تستطع قراءته، فابحث عن عمل آخر، لأنك لن تصلح للُّغة أو الأدب".

فبعث في الشَّاب تحدي، خلاني أقرأ «لسان العرب»، والتَّعمُّق في كتب الأدب، وخوض تجارب عديدة. جزاه الله عنا خيرًا، فقد ترك أثرًا عميقًا في مسيرتي.

ماذا تذكر من مثل هـٰذه المواقف التي كانت لها أثر كبير من مشايخك في حياتك العلميَّة والعمليَّة؟

كلُّ مشايخنا لهم أثر بطرق مختلفة:

هناك أشخاص يؤثِّرون بالتَّشجيع، مثلاً يأتيك أحدهم ويقول: "أنت فلان، أبوك عمل، وجدك عمل، وجدك الشيخ محمد بن إبراهيم عمل، وجدك الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب جدّد التَّوحيد والملَّة ونشرها، والنَّاس تأثروا به في العالم"، فيبعث فيك الهمَّة.

وآخر يقول لك: "أنت عندك حافظة، احفظ، لا تقصِّر في الحفظ. الحفظ يبقىٰ معك، الفهم قد يروح، الآن قد تفهم؛ لكن إذا حفظت يبقىٰ الفهم. كل واحد له بصمته.

الشيخ فهد الحميِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

الشيخ فهد الحميِّن كان من أجلِّ المشايخ الذين كان لهم أثر بالعقل، والحكمة، والعلم، والتَّعبُّد، والزُّهد. لم أقرأ عليه كثيرًا، لكنِّي كنت أزوره، وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان من طلَّاب الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم ومن طلَّاب الشَّيخ ابن باز، وكان يقرأ عليه أيضًا.

كان متواضعًا، أدين له بالفضل في إرشادي في مواطن كثيرة كان فيها اشتباه في مسائل الواقع.

كان عنده عمق في التَّعامل مع حماس الشَّباب.

في تلك الفترة، قبل عام 1400، حيث كانت هناك أفكار كثيرة تأتي من فئات مختلفة، وكانوا يأتون إليه ويسألونه فيجيبهم، ثم بعد ذلك عرف أنهم لا يستجيبون لكلامه.

مرَّة كنت عنده، فجاءه شخص وقال: "يا شيخ، ما رأيك في كذا وكذا؟" فقال له: "يا ولدي، لا تسأل، **اللِّي ما يُطاع ما له رأي،؟!**" إن كنت لا تطيعني فدَع رأيي عندي وتوكل علىٰ الله. فقام الرَّجل. فسألت الشيخ: "لماذا قلت له ذلك؟" فقال: "هذا مرَّ عليَّ من أمثاله كثير. هؤلاء يجمعون الكلام بلا فائدة، يجمِّعونه ولا يسمعون، ليس لهم إلَّا رأيهم".

كانت هذه بصمة مهمَّة في تقييم النَّاس الَّذين أمامي، لأنَّك لا تصدِّق كلّ من يأتيك.

والَّذي يجمع الحقيقة كثيرًا من المشكلات هو الكِبْر؛ لأنَّه في النَّفس البشريَّة، من يتعالىٰ علىٰ العلم ويتعالىٰ علىٰ الحقيقة. هو أحد حالين: إمَّا متكبِّر أو جاهل.

إمَّا لا يستطيع الوصول إلىٰ البرهان.

إمَّا أنَّه متكبِّر أصلًا.

لذلك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصف الَّذين لم يؤمنوا بالقرآن بأنَّهم معرضون عنه، رغم أنَّه نبأ عظيم. قال الله في كتابه: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾[ص] والمشكلة ليست في القرآن، بل في الإعراض عنه.

وقال في آية أخرىٰ: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾[غافر:56]. فالمشكلة مرَّات قليلة في الجهل؛ لكن مرَّات كثيرة في الكِبْر الذي هو أصل في ضلال الإنسان عن الحقِّ أو عدم حرصه عليه.

وإبليس نفسه لم يمنعه من الطَّاعة إلَّا الكِبر، كما جاء في القرآن الكريم.

نريد أن نريحك شيخ، هناك فاصل قصير، وأنا مستمتع ومستفيد كثيرًا من هذا الحوار. نذهب الآن إلىٰ شاشة اللِّيوان.

أنا كنت متوقع في الحوار أنه يصير شيء ثاني أنت بديتها بالشَّباب.

سيرتك العلميَّة ملفتة وفيها دقائق وملامح، أنت طلبت منِّي أنَّك لا تتكلَّم علىٰ سيرتك الشَّخصيَّة، لكن لأنَّه فيها شيءٌ مهمٌّ للنَّاس أستأذنك للتَّجاوز.

حيَّاكم الله في شاشة اللِّيوان، أُجدِّد التَّرحيب بضيفي معالي الشَّيخ صالح آل الشَّيخ، وزير الدَّولة وعضو مجلس الوزراء.

الشَّيخ صالح، في شاشة اللِّيوان لدينا مجموعة من المواد الَّتي سنستعرضها ونعلِّق عليها تباعًا.

المادة الأولىٰ: آراء متباينة حول مفهوم الإسلام والدولة الحديثة، حيث يرىٰ بعض الباحثين أنَّ الحكم الإسلامي في أساسه قام علىٰ اللَّامركزيَّة، معتمدًا علىٰ التَّوازن بين السُّلطتين السِّياسية والدِّينيَّة.

فالشَّريعة الإسلاميَّة وفق هـٰذا التَّصوُّر لم تكن تصدر عن سلطة مركزيَّة؛ بل تشكَّلت كمنظومة أخلاقية وقانونية تطوَّرت عبر الزَّمن من خلال الاجتهاد الفقهي. وحسب هذا المنظور، فإنَّ السِّيادة في النِّظام الإسلامي ليست للدَّولة؛ بل للقانون الشَّرعيِّ المستمدِّ من الله تعالىٰ، والَّذي تطوَّر وتشكَّل عبر تفسيرات الفقهاء.

يتعارض هذا المفهوم جملةً وتفصيلًا مع طبيعة الدَّولة الحديثة كما تطوَّرت في السِّياق السِّياسي الغربي. إذ يرىٰ البعض أنَّ الدَّولة في العالم الإسلامي اليوم لم تكن نتيجة تطوُّرٍ طبيعي للمجتمعات؛ بل جاءت بفعل الاستعمار الأوروبّي. وباعتبار أنَّ الإسلام منظومة شاملةٌ للحياة، فإنَّ اختزاله أو تأطيره ضمن نموذج الدَّولة الحديثة التي تقوم علىٰ السُّلطة المركزيَّة والقانون الوضعيّ يعدُّ أمرًا غير ممكن.

من هذا المنطلق، يرىٰ بعض المفكرين أنَّ الدَّولة الإسلاميَّة وفق مفهوم الدَّولة الحديثة هي "الدَّولة المستحيلة".

الشَّيخ صالح، رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا في هذه الزَّاوية من أكثر من جهة:

أولًا: لأنَّك عالم شرعيّ ذو ثقل علمي،

ثانيًا: لأنك أدرت وزارة الشُّؤون الإسلامية لفترة طويلة،

وثالثًا: لأنَّك عضو في مجلس الشُّؤون السِّياسية والأمنية.

فكرة " الإسلام والدَّولة المستحيلة"، هو سؤال يثار دائمًا بزوايا متعددة.

والسُّؤال المطروح: **هل الإسلام يصلح لإقامة دولة؟**

لا شكَّ أنَّ الرُّسل بعثهم الله جَلَّوَعَلَا كما في القرآن، بعثهم الله جَلَّوَعَلَا لينذروا ويبيِّنوا للنَّاس حقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بتوحيده، وألَّا إله إلَّا هو، وألَّا يُعبد إلَّا هو، وألَّا يُتوجّه بشيء من العبادات إلَّا له، مع بطلان الآلهة والأنداد والأوثان والأصنام والأشكال المختلفة الَّتي تُدعىٰ من دون الله.

هذا هو الجزء الأوَّل الكبير في رسالة الرُّسل، فما من رسول إلا جاء وقال: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾.

ثم الجزء الثاني المهم هو **التَّمكين في الأرض**. التمكين في الأرض أساسي في بعثة الرُّسل، فقد قال الله جَلَّوَعَلَا في بني إسرائيل: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾[المائدة:20]، وقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ

شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ [ص].

النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث في مكَّة وأُوذي، مكثَ ثلاثة عشر عامًا، ثم هاجر إلىٰ المدينة بعد أن وضع أرضيَّة لماذا؟ **ليبني الدَّولة المُسلمة**، ويكون هو صاحب الولاية فيها، صاحب الأمر والنَّهي. وكما قرَّر العلماء، فإنَّ للنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شخصيَّته وممارساته عدَّة جوانب:

- **شخصية النُّبوَّة** في تبليغ الوحي للنَّاس وبيانه لهم وشرحه وإيضاحه لهم.
- **شخصيَّات: الوالي**، ولي الأمر، شخصية المُطاع، شخصية القائد، شخصية الحاكم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولذلك جاء في الحديث الذي رواه حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : خطبنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا**... » إلىٰ آخر الحديث [مسند أحمد (ح18406)].

فدلّ علىٰ أنَّ هجرة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمدينة **كانت لتكوين دولة**، وهذه الدَّولة هي التي مارس فيها الجهاد، وقسّم فيها الوظائف والاختصاصات.

ومن صفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون قاضيًا، ومفتيًا، ومرشدًا، ومعلِّمًا، وغير ذلك. فالسنَّة شخصيَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث تشمل ذلك كله.

فلذلك نقول: **إنشاء الدَّولة المسلمة بدأ بهجرة النَّبيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من مكَّة إلىٰ المدينة**.

وأمَّا **الخلافة الرَّاشدة**، فقد كانت خلافة قويَّة، وحكمًا إسلاميًّا رشيدًا في أعلىٰ مستوياته، وهي دولة إسلاميَّة، وهكذا.

أمَّا الَّذين يتحدَّثون عن الدَّولة المستحيلة وفق الفكر الحديث، فهم يرون ذلك بسبب الظُّروف الحالية. وهم يظنُّون أن هذا مستحيل؛ لأنَّ المفهوم الغربي سائد، والفكر العلماني سائد، والحداثة الغربيَّة التي لا تتلاقىٰ مع الإسلام في تشريعاته ولا في تفريعاته سائدة، فيقولون: كيف تطبِّق الدَّولة الإسلامية؟ وعلىٰ مَن؟ الدولة تحتاج إلىٰ أرضية.

صحيح أنَّ الدَّولة تحتاج إلىٰ أرضيَّة من جهة، وهذا يكون من خلال تنشئة جيل مسلم يتقبَّل ذلك أو إقناع النَّاس بالفكرة. ويقولون: لا يمكنك إجبار النَّاس علىٰ تطبيق الإسلام؛ لأنَّهم لا يدينون بالإسلام

ولا يريدون عباداته أو أخلاقه، فكيف تطبّق عليهم الشَّريعة وهم علىٰ هذا الحال؟

لكن الرَّد عليهم يكون بنموذج **المملكة العربيَّة السُّعوديَّة**، فقد أقام الملك عبد العزيز بن عبد الرَّحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ **دولةً إسلاميَّةً** منذ اليوم الأوَّل، في وقتٍ كانت فيه الأطروحات الفكريَّة تتَّجه نحو الدَّساتير الشَّرقيَّة والغربيَّة. ومع وجود مستشارين له من أنحاء العالم العربي، كان بالإمكان أن يتبنَّىٰ نموذجًا غربيًّا أو شرقيًّا؛ لكنَّه اختار تحكيم الكتاب والسُّنَّة، مع أُفقٍ واسعٍ في التَّعايش مع العالم، هو اتَّقىٰ الله ونصحَ لعباده ونصحَ للمسلمين، وتحدَّىٰ ونجحَ في التَّحدي، وأقام دولة إسلاميَّة، عمادها تحكيم الكتاب والسُّنَّة، في أفقٍ واسعٍ في التَّعايش مع العالم.

هم فكرتهم أنَّهم يقولون: إنَّ الدَّولة الإسلاميَّة الحديثة متناقضة جوهريًّا مع الدَّولة القوميَّة الحديثة، فإنَّهم يطرحون أسئلة مثل: لمن تكون السِّيادة؟ هل هي للدَّولة أم للشَّريعة؟

الحقيقة أنَّ **الدَّولة والشَّريعة شيء واحد.**

التَّعريف القانوني للدَّولة هو: حاكم، وتشريع، وأرض، وناس.

فأين يذهب التَّشريع؟ التَّشريع موجود، وإذا كان التَّشريع الإسلامي هو السَّائد علىٰ أرض يقبله ناسها، فلا تعارض بين الدَّولة الإسلاميَّة والنِّظام السِّياسي.

أمَّا الأيديولوجيات القوميَّة، فهي أفكار يُمكن ضبطها لتصبَّ في صالح الدَّولة الإسلاميَّة؛ لكن لا يمكن جعلها حاكمًا علىٰ الإسلام، لأنَّ **الإسلام ليس أيديولوجيا**. الإسلام دين، وليس أفكارًا بشرية قابلة للتبديل أو التغيير. الوحي من عند الله جَلَّوَعَلَا فيه اجتهادات لفهم هـٰذا الوحي، وفيه اجتهادات لتطبيقه، وفيه تجارب لتطبيقه، والدِّين من عند الله.

أما الأيديولوجيات فهي أفكار يُقتنع بها الناس، ويمكن أن تتوسَّع أو تضيق.

الأيدولوجيا ليست دينًا، والإسلام ليس إيدولوجيا.

(الأيدولوجيا ليست دينًا) نعم، ليست دينا بالمعنىٰ الأخص، والإسلام ليس أيدولوجيا، الأيدولوجيا أقل.

لذلك يمكن أن يكون الشَّخص الفلاني مؤدلجًا، ليس معنىٰ ذلك أنه غيرمسلم، مؤدلجا بفكر حداثي، أو قومي، أو اقتصادي بشكل ما، ما يتعارض، ممكن يزيد حتَّىٰ يتعارض؛ لكن الفكرة الأساسيَّة أنَّه ممكن يكون **مصلٍّ موحِّد**. وعنده أفكار أيدولوجية.

الأنظمة السِّياسية في العالم متعدِّدة: الديمقراطي، الملكي، وغيرها.

هل الشَّريعة تُفضل نظامًا علىٰ نظام؟

والسؤال عميق، الله جَلَّوَعَلَا هو الحكم العدل، وأنزل شرائعه؛ ليقوم النَّاس بالقسط، والقسط هو العدل. ولذلك جاء في القرآن أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أمر داود أنْ يحكم بين النَّاس بالعدل ولا يتَّبع الهوىٰ.

الأساسيَّات الَّتي يأمر الله جَلَّوَعَلَا بها هي:

1. أن يكون هناك اتِّباعٌ لشرعه ووحيه.
2. أن يكون هناك عدلٌ بين الرَّعيَّة، والمساواة تدخل في العدل مع تفريقٍ بسيطٍ.
3. أن يكون هناك بُعْدٌ عن الهوىٰ.
4. أن يكون الحاكم خاضعًا لما يقلِّل هواه ورغباتِه الَّتي تذهب به إلىٰ غير العدل والشَّرع.

إذا تحقَّق ذلك، فسواء سُمِّي الحكم "ملكيًّا" أو "رئاسيًّا" أو "جمهوريًّا"، فإنَّ المهم هو تحقيق العدل والبُعد عن الهوىٰ في الحكم بين النَّاس.

الشُّورىٰ؟

فالشَّريعة تدخل الشُّورىٰ فيها، والبعد عن الهوىٰ لازم في ممارسة الحكم.

أنماط الحكم كما ذكرها مونتسكيو في «روح الشرائع».

يقول مونتسكيو إنَّ أنماط الحكم ثلاثة:

1. **الجمهورية**: حيث يكون الحكم للشَّعب، وهم الَّذين يسنُّون القوانين، ويُمارس الحكم وفق إرادة الأغلبيَّة، ولكن يُوضع نظام يحدُّ من استبداد الأغلبيَّة بحقِّ الأقليَّة وكيف تؤخذ حقوق القلة من الكثرة.
2. **الملكية**: حيث يحكم الملك وِفق قانون وتشريع ودستور، ويكون لديه من يسدِّده ويشير عليه عند ابْتعادِه عن هذه الأصول الَّتي عنده، يسمُّونه دستور، الَّذي عندنا القانون الأساسي.
3. **الاستبداد**: حيث يكون الحاكم لا يرجع إلىٰ قانون أو شعب، وينفّذ ما يراه في النَّاس دون ضوابط،

كما هو الحال في الحكم العسكري المطلق.

مثل حكم الغابات إلخ، يعني حكم استبداد مطلق،

أحيانا الاستبداد يقسِّمونه قسمين؛ لكن أنا قصدي مونتسكيو الذي وضع أساسيات التَّفكير في فصل الشَّرائع وفي الحكم الرَّشيد، وكيف يكون، قال الجمهورية الملكية إلخ، نحن نتَّفق معاه، الملكيَّة نص القرآن عليها.

هل النِّظام الملكي يوافق الشريعة؟

نعم، النِّظام الملكي إذا قام بحقوق الشَّريعة، وحَكَم بالعدل، وأقرّ توحيد الله، وطاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطبّق شرع الله، فهو حكم شرعي.

وقد جاء في الحديث الذي ذكرت لك أوله: «**ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا [عَاضًّا]، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا (جَبْرِيَّةً)، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا**».

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدّ من يلحقه في الحكم، عدَّ الخلافة الرَّاشدة ثم عدَّ ملكًا، فالملك يتَّفق مع الشَّريعة إذا قام الملك بحقوق الإسلام الَّتي هي التَّوحيد وتحكيم الشَّريعة وإقامة العدل بين النَّاس والبُعد عن الهوىٰ.

الدَّولة الحديثة تعتمد مفهوم المواطنة، والمواطنة تقتضي المساواة بين النَّاس في الحقوق والواجبات دون النَّظر إلىٰ خلفيَّاتهم، أيًّا كانت.

الأطروحات الشَّرعيَّة فيها أهل ذمَّة، أي أنَّها لا تساوي بين النَّاس، فكيف نجمع بين الدَّولة الحديثة وبين الأطروحات الشَّرعيَّة مثل مفهوم أهل الذِّمَّة؟

أنت لا تتصوَّر الدَّولة الحديثة، الَّتي هي النَّموذج الغربي، والقوانين الغربيَّة، يعني إجحاف، لا تجعل نموذجا، ثم تقارن بين النَّاس وبين هذا النَّموذج؟ لا، المهم مبادئ الدَّولة في قيامها بالحقِّ والعدالة وخدمة النَّاس.

المواطنة وسيلة، وليست غاية. الشُّعور بالمواطنة والانتماء هو وسيلة لتآلف النَّاس، وسيلة للاجتماع علىٰ وليِّ الأمر، وسيلة للبُعد عن الذين يريدون أن يخترقوا الصَّف، وسيلة للبعد عن الطَّابور الخامس، وسيلة لعدم اختراق الأيديولوجيَّات المختلفة للصَّف المسلم الواحد.

المواطنة وسيلة جيِّدة للحفاظ علىٰ مقتضيات الشَّريعة؛ لكنَّها لا تكون مقدَّمة علىٰ كلِّ شيء. يجب أن تكون في إطار الوسيلة.

أمَّا الأصل الشَّرعي فهو أن يكون الله ورسوله أحبّ إلىٰ الإنسان ممَّا سواهما، كما جاء في الحديث: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**» [مسند أحمد (ح13151)]، فالدَّولة المسلمة تسخِّر هذه المواطنة، والحماس الوطني، والقوَّة الوطنيَّة، وحبُّ الوطن، والتَّكاتُف الوطني، في إطار الدَّولة المسلمة الَّتي يحكمها الشَّرع والعدل والتَّوحيد.

كل هذه الأطروحات التي يطرحها الشَّيخ صالح تقودنا إلىٰ سؤال جوهري: **الإسلام والحداثة.**

الحداثة كلمة مطَّاطة، فقد كان هناك حداثة، والآن يقولون: ما بعد الحداثة، وبعدها سيقولون: ما بعد ما بعد الحداثة، حتىٰ يصل التَّفكير الغربي إلىٰ المذهب الإنساني الواحد.

نحن بالطَّبع ضد أن يصل النَّاس إلىٰ المذهب الإنساني الواحد، ولابدَّ أن يبقىٰ دين الله جَلَّوَعَلَا، الإسلام، باقيًا راسخًا قويًّا شامخًا، كما علَّمنا ذلك ومارسناه في الدَّولة السُّعودية بجميع مراحلها وجميع وُلاة أمرها، منذ أن أسَّسها الملك عبد العزيز في الدَّولة السُّعودية الثَّالثة إلىٰ يومنا هذا. لدينا اعتزاز كبير بالإسلام، واعتزاز كبير بالقرآن، واعتزاز كبير بالسُّنّة.

الحداثة مفهومٌ واسعٌ، فلا يمكن الحُكم علىٰ لفظ الحداثة ككل؛ بل فيها تفصيلات.

فما هي الأجزاء من الحداثة التي يمكن أخذها، أو الَّتي تتعارض مع الإسلام؟ هناك أمورٌ من الحداثة تتعارض مع الإسلام، وأمور منصوصٌ عليها في القرآن والسُّنَّة، ومُجمع عليها بين أهل العلم، فلا يمكن أن ينظر فيها أحد، سواء عارضتها الحداثة أم لا، فهذه مسائل منتهية. بعضها معلوم من الدِّين بالضَّرورة، يعرفها الصِّغار والكبار، وهي مسائل عظيمة.

علىٰ سبيل المثال، في العقائد، هناك قضية «الإبراهيميَّة»، حيث يقول البعض: إنَّ أصحاب الدِّيانات الثلاث يمكن أن يجتمعوا تحت مسمَّىٰ «الإبراهيميَّة». الإبراهيمية نسبة إلىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لكن الله جَلَّوَعَلَا بيّن في القرآن منذ البداية بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران]، ثم قال: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران:68].

إذا جاءنا أشخاصٌ يتْبعون المسيحيَّة، أو اليهوديَّة، أو الصهيونيَّة، أو يتبعون مشارب مختلفة بتركيباتها المختلفة قديمة وحديثة، وقالوا: "نحن نتبع الإبراهيميَّة"، إبراهيم نحن أولىٰ به، فهذا لا يصح، لأنَّه لا يمكن أن يكون تحت "الإبراهيميَّة" يهودي أو نصراني.

إذ بين فترة وأخرىٰ يظهر شخص يطرح هذه المسألة، وتلعب السِّياسة دورًا كبيرًا في ذلك، حيث يتم الترويج دائمًا لمفهوم "الحوار بين أتباع الأديان". ويأتي في مستويات، أحيانًا أعلاها فكرة، مثل الإبراهيمية والدِّين الواحد، أو أقل منها؛ التَّقارب،

وهنا سؤال: متىٰ نحاور ومتىٰ لا نحاور؟ من نحاور ومن لا نحاور؟ ما هو موضوع الحوار؟ أعطِني رأيك.

هذه صفحة أخرىٰ. يعني الحوار، كما هو معلوم للجميع، حالة نُضج للإنسان، الإنسان الَّذي لا يحاور ولا يقبل الحوار غير ناضج، ويقضي علىٰ نفسه بالذُّبول، وعدم الوعي، وخلل في الإدراك.

الحوار مطلبٌ مع أيٍّ كان، الله جَلَّوَعَلَا حاور في القرآن، قصَّ لنا الحوار بينه وبين آدم وإبليس، وأخذ إبليس يسأله وهو يجيب جَلَّجَلَالُهُ.

الحوار بين إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وبين النُّمرود، بين ملوك زمنه.

الحوار بين الأنبياء وأعداء الأنبياء، الأعداء يحاوَرون.

الحوار لا يُهرب منه؛ لكن الحوار له أصول.

أوَّل أصول الحوار: ألَّا يكون هناك استعلاء، يعني: لا بد أن يكون فيه ندِّيَّة، فيه مثليَّة، أمَّا تحاورني وأنت واضع نفسك أعلىٰ منِّي، متكبرٌ عليَّ، ترىٰ لنفسك السيادة، فهذا لا يسمَّىٰ حوارًا، هذا يسمَّىٰ سيطرة، سيطرة علىٰ الفكر، ولا بد أن أكلِّمك؛ لكن بشرط أن تقرِّر ما أقرره، هذا لا يسمَّىٰ حوارًا، فهذا لا يصلح أن يدخل فيه؛ بل لا بد من القوَّة.

[الأصل] الثاني: **الحوار يحتاج إلىٰ نضج**، يعني تحاور وأنت غير ناضج، لا يصلح، لا بد أن يكون فيه نضج،

ولذلك الحوار السياسي لا بد أن يكون من ناضجين،

الحوار الاقتصادي من ناضجين،

الحوار الديني بين أتباع الديانات لا بد أن يكون من الناضجين. إلخ.

فيه عندنا عدم كِبْر،

فيه عندنا النُّضج،

[3] **فيه عندنا أيضًا العزَّة، الذي يحاور وليس عزيزًا بما يحمل لا يحاور**. لا بد ألا يكون في قلبك ذرَّة

انهزام، إذا كنت تحمل الإسلام وتحمل مبادئه، وتحمل شريعته، وتحمل اسم محمَّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في قلبك، فأنت معك القوّة كلّها، فلا بد أن تكون عزيزًا، عزيزًا، عزيزًا أكثر من أيِّ شيء.

فلذلك الَّذي يحاور لا بد أن يكون عزيزًا، هذه العزَّة التي فيه لا تجعله ضعيفًا، ولا تجعلهم يخترقونه.

إذًا، الحوار مطلوب، النُّضج لا بد منه كأرضيَّة للحوار، لا يكون أحد المتحاورين متكبِّرًا علىٰ الآخر، مستعليًا عليه، مستعليًا عليه حقيقيًّا بالعلم أو بالقوة أو إلىٰ آخره.

وأن يكون هناك عزَّة للمسلم المحاور.

الذي شاهدته في الواقع، بحكم مروري بمثل هـٰذا.

الحوار الذي رأيناه علىٰ مستويين:

هناك حوار رسمي؛ بمعنىٰ دُول أرادت أن تعمل مؤتمرات للحوار، كالمملكة العربيَّة السُّعودية التي عملت مؤتمرات حوار بين أتباع الدِّيانات.

في كازاخستان عملوا مؤتمرات كثيرة بين أتباع الدِّيانات، حوارات، وكل سنة يعملونها، وإلىٰ الآن أظنُّهم يعملونها.

في الغرب أيضًا يعملون، إلىٰ آخره.

الحوارات الرَّسميَّة الَّتي علىٰ مستوىٰ المؤسَّسات الرَّسمية، هذه لها أهدافها، قد تكون أهدافها النَّافعة للدول، أهداف سياسية، أو قد يكون لها هدف في وضع أرضيَّة مشتركة يلتقي عليها النَّاس، وحتَّىٰ لا تُتَّهم دولة بأنها منغلقة وتصادر حقوق الآخرين، أو إلىٰ آخره. هناك أهداف سياسية متنوِّعة.

أمَّا الحوار من أجل الحوار نفسه فلم يحصل؛ لكن حصلت فوائد الحوار بالتقاء الكبار، التقاء القادة.

لكن الحوار الحقيقي، إلىٰ الآن، لم يحصل.

الحوار الرَّسمي في المستويات الرَّسمية هو التقاء، مد جسور، بناء ثقة، وكسب مواقف مشتركة. لكن الحوار بمعنىٰ مناقشة قضايا والوصول فيها إلىٰ قدْر مشترك لخدمة البشريَّة، هذا ما رأيناه.

علىٰ غير المستوىٰ الرَّسمي، صار أو ما صار؟

الحوار [غير] الرَّسمي هو الذي دعا إلىٰ الإسلام، الإسلام انتشر في أمريكا بالحوار غير الرَّسمي، الإسلام انتشر في أوروبا بالحوار غير الرَّسمي، الإسلام انتشر في أماكن كثيرة في العالم بالحوار غير

الرَّسمي.

مؤسسات كثيرة رعَت الحوار غير الرَّسمي، وأحيانًا يكون بين أفراد: تاجر، زملاء، طلَّاب، إلىٰ آخره، ونجحوا في الحوار، وأسلم الكثير، ونجحُوا في الحوار، أو ظلُّوا محترِمين لبعضهم في ذلك.

مررنا بتجربة في وزارة الشُّؤون الإسلاميَّة، إبَّان كنتُ وزيرًا للشُّؤون الإسلاميَّة، لمَّا جاءت الرُّسوم المسيئة، تذكر؟ كانت هناك رسوم مسيئة، أظنّ في الدَّنمارك أو غيرها، رسوم مسيئة للنَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. درسنا في تلك الفترة: ما هي أمثل وسيلة للرَّدِّ علىٰ هذه الرُّسوم المسيئة؟

وصلنا، بعد حلقات نقاش، إلىٰ أنَّنا وجدنا أنَّها ترسُّبات من كتابات قديمة كتبها المستشرقون في مناهج الجامعات، وفي دوائر المعارف، وفي الموسوعات، في وصف النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأوصافٍ سيِّئة، بأنَّه يقتل، وأنه يحبُّ النِّساء، وأنَّه ليس فيه صفات إيجابية.

فهذا الرَّصيد المعرفي السَّلبي تلقَّاه ناس كثيرون، فعبَّروا عنه، عبروا عمَّا درسوه وعمَّا يقرؤون في مراجعهم. درسنا هذه المشكلة، فوجدنا أنَّ الحل، أو جزءًا من الحل، أو بداية الحل، أن يكون هناك إعادة التَّعريف: إعادة التَّعريف بالإسلام، إعادة التعريف بالقرآن، إعادة تعريف بالنَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وضمَّنَّا معها إعادة تعريف بالسُّعودية كحاضنة للإسلام وفيها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وإعادة التَّعريف بالإنسان السعودي، وأقمنا عدة مؤتمرات وملتقيات تعريفية.

صار لها نتيجة؟

صار لها نتيجة جدان وشكرنا عليها السفراء، والجامعات صارت تثني علىٰ ذلك، حتَّىٰ مرَّة قال أحد أساتذة الجامعات في إيطاليا، بعد أحد اللِّقاءات: "هذه أوَّل مرَّة يأتينا مسلمون بدون استعلاء، نحن نقول: نريد أن نعرِّفكم من نحن، وأنتم عرِّفونا، ماذا تقولون عنا؟" فصار في نقاش حر، صحيح. هم يقولون: "نحن نعرف عن نبيِّكم كذا وكذا"،

نقول: الحوار يفشل إذا كان فيه استعلاء.

فلمَّا كنَّا نتكلَّم بواقعيَّة، وهدوء، وبدون إعلام، وبدون ضجيج، نجحنا في ذلك. وكان يمسك هذا الملف في ذلك الوقت أخٌ عزيز، الدُّكتور عبد الله اللحيدان، وكنتُ أنا وزير الشُّؤون الإسلاميَّة، وكان هو مسؤولًا عن هذا الملف، جاء من جامعة الملك سعود، قسم العلوم السِّياسية، تخصصه علوم سياسية، فأدار الملف بنجاح. لم يطل الملف، لكنَّنا نجحنا فيه.

في حديث عن الأخلاق، الحديث أحيانًا يأخذ بُعدًا فلسفيًّا ، بشكل كبير، أنا ما ودي أدخل في... يعني، لهذه يبيلها حلقات لوحدها، لكن فكرة مرجعيَّة الأخلاق، هل مرجعيَّة الأخلاق هي العقل، أم الدِّين من وجهة نظرك؟

طبعًا، إذا جاءت الأخلاق بالوحي، فهذا أعلىٰ شيء، هذه أعلىٰ درجة من اليقين بأنَّ هذا الخُلق محمود، إذا جاء من الله جَلَّوَعَلَا، من رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، في القرآن، في السُّنَّة، في كتب الأنبياء. وكُتب الأنبياء كلها مشتملة علىٰ أخلاق.

العقل أيضًا يدرك الأخلاق، يدرك الصَّحيح من غير الصَّحيح، النَّافع من غير النافع. ولذلك جاء في الحديث: «**خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقِهُوا**» [مسند أحمد (ح10296)]. وجاء في حديث آخر: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**» [مسند أحمد (ح8952) بلفظ: صالح]. فدلَّ علىٰ أنَّ الأخلاق التي كانت في الجاهليَّة، كان مصدرها العقل، وما تواطؤوا عليه من أن هذا حسن. قال النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «أتمم مكارم الأخلاق»، فأقرَّ ما كان عند الجاهليَّة من أخلاق، وزاد عليها الإسلام في ذلك.

الفلاسفة، فلاسفة اليونان، بحثوا مبحث الأخلاق بحثًا طويلًا في بحثهم عن فلسفة الجمال، وبحثهم عن الإنسان، وإلىٰ آخره. وفي أوروبا تكلَّموا عن الأخلاق لأنَّها هي البحث.

واليوم، بعد اضمحلال كثيرٍ من الأطروحات الفلسفيَّة، تظهر الآن منظومة الأخلاق. ما مرجع منظومة الأخلاق؟ وإلىٰ آخره... منظومة الأخلاق مرجعُها الدِّين، ومرجعها العقل،

ثنائية،

يعني: لا بد أن يكون مرجعها الدِّين، والدين مرجعها الأعلىٰ، ومرجعها أيضًا العقل.

الأخلاق كلَّما زادت قيمتها في المجتمع وفي التَّأثير، تسمَّىٰ قيمًا، يصل الخُلق إلىٰ قيمة، وتصل الأخلاق إلىٰ قِيم.

وبالمناسبة، في اهتمامات سموّ وليّ العهد الأمير محمد بن سلمان، عنده اهتمام بالقيم، وفيه دراسات تتعلَّق بالقيم. لا أدري أين وصلت، وكيفية تغذية المجتمع بهذه القيم، وأرجو أني ما أكون استعجلت في ذكرها، لكنَّها شيء مشرِّف أن نبحث عن قيم المجتمع والقيم الصَّالحة. في القرآن، قيمٌ، وفيما يؤدِّي إليه العقل البشري أيضًا.

إذًا، فالأخلاق مرجعها الدِّين، الوحي، الإسلام، والعقل الصَّحيح.

أنتقل معك إلىٰ مكان آخر، في طلب العلم، هناك شيءٌ تطرب له ويطرب له محبوك.

طيب،

فالمقصود بتكوين الملكة الفقهية: كيف تكون عالمًا بالفقه؟ كيف تفهم كتب الفقه؟ كيف تكون فقيهًا؟ كيف يسهُل عليك دراسة الفقه؟

أنا استمعت للمحاضرة هذه كاملة، كانت عن تكوين الملكة الفقهيَّة. كيف يمكن لطالب العلم أن يصل إلىٰ فكرة الملكة الفقهيَّة؟ وكانت الفكرة واضحة في المحاضرة.

لكن ما لفت نظري، أنت تقول إنه لكي تكون الملكة الفقهية، عليك أن تدرس علىٰ مذهب من المذاهب الأربعة، هذا هو الطَّريق الأوَّل للوصول إلىٰ الملكة الفقهيَّة.

صحيح، أولًا، هذه المحاضرة كانت قريبة، وهي ضمن دورة عقدتها رئاسة الشُّؤون الدِّينية في المسجد الحرام والمسجد النبوي، مشكورة، بعنوان «دورة في التأسيس الفقهي»، وجعلوا عدَّة أيام مختلفة، جعلوا فيها:

التَّأسيس الفقهي علىٰ المذهب الحنفي،

التأسيس الفقهي علىٰ المذهب المالكي ،

التأسيس الفقهي علىٰ المذهب الشَّافعي،

والتأسيس الفقهي علىٰ المذهب الحنبلي.

فجاء أربعة من العلماء السُّعوديين، وكلّهم علماء سعوديون، وأكثرهم من هيئة كبار العلماء، وتكلَّموا عن كيفيَّة تأسيس نفسك علىٰ مذهبٍ فقهيٍّ من هذه المذاهب.

فأحد المشايخ، مثلًا، من هيئة كبار العلماء، تكلَّم، وهو حنفي المذهب، من أهل الأحساء، مشكورًا،

عن التَّأسيس علىٰ المذهب الحنفي، وآخر عن المذهب المالكي، وهكذا.

آخر محاضرة كانت عندنا.

الحقيقة الفكرة في وجودها في أروقة المسجد الحرام، أعتقد أنَّه مهم وجيِّد، لأنَّ الدَّولة السُّعودية، منذ الدَّولة السُّعودية الأولىٰ، لما ضمَّت الأحساء إلىٰ ولايتها، كانت الأحساء فيها مدارس فقهية من جميع المذاهب.

صحيح،

فالإمام عبد العزيز، والإمام سعود بن عبد العزيز، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالىٰ، أقرُّوا كلَّ صاحب مدرسة من المذاهب الفقهيَّة علىٰ مدرسته، وبقيت المدارس إلىٰ يومنا هذا، وهي موجودة مدارس مستقلَّة علىٰ المذاهب.

فالمذهبيَّة الفقهيَّة لا تتعارض مع السَّلفيَّة. السَّلفية هي منهج عقدي ومنهجٌ اتِّباعي.

المنهج العقدي في التَّوحيد: عبادة الله وحده لا شريك له، عدم عبادة الأولياء، ولا عبادة أصحاب القبور، ولا تعظيم الطَّواغيت، وإلىٰ آخره. وطاعة النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتِّباع شريعته، والحكم بشريعته.

أمَّا المذاهب، فهي وسائل تعليميَّة لفهم الشريعة، فمن أراد أن يفهم الشريعة علىٰ المذهب الحنفي، فليفعل، ثم إذا تقدَّم، رجّح في الأقوال: أين الحق؟ وأين الدَّليل؟

فالحقيقة، كانت الدَّورة ناجحة، وأنا اختتمت بتكوين الملكة الفقهيَّة بما يناسب أي اتِّجاه، وكانت واضحة.

لكن هذا كلامك الذي قبل قليل يخلق عندي سؤالين:

السؤال الأول: هل السعودية تتبنىٰ المذهب الحنبلي أم لا تتبناه في التعليم؟

كل من يريد أي مكان في التعليم، يُعلَّم علىٰ مذهبه، لا يوجد تضييق. لكن الدَّولة لا تتبنىٰ مذهبًا معينًا في التعليم. أمَّا في القضاء، فمرجعنا هو المذهب الحنبلي، وهذا منذ الدَّولة السُّعودية الأولىٰ والثَّانية والثَّالثة، وإلىٰ يومنا الحاضر، مع الاجتهادات التي تحصل فيه.

لماذا؟ في القضاء لا بدَّ ألَّا تتباين أحكام القضاة، فالدَّولة واحدة، والقضاة في المملكة، في شرقها، وغربها، وشمالها، وجنوبها، قد يكون القاضي من أي مذهب؛ لكن لا بد أن يحكم بالمذهب الحنبلي،

لكيلا تتعارض الأحكام الشَّرعية في القضية الواحدة بين منطقة ومنطقة. فالدّولة واحدة، لا بد أن تكون الأحكام متَّحدة.

في القضاء واضحة،

باتِّفاق العلماء، علىٰ أنَّ القضاء إذا كان علىٰ أيِّ مذهبٍ، فهو صواب، يوصل الحقَّ إلىٰ صاحبه.

أما في الفتوىٰ، فلا يوجد تقييد بمذهب معين، العلماء يفتون وفق ما يرونه صحيحًا.

حسنًا، هيئة كبار العلماء، بيانات الفتاوىٰ التي تصدر للنَّاس، أو استشارية للملك، هل تمثل جميع المذاهب، أم أن المذهب الحنبلي هو الغالب،

منذ إنشاء هيئة كبار العلماء في عام 1389هـ، وهي ممثل فيها جميع المذاهب الفقهيَّة الأربعة، ممثلة فيها، ففيها علماء أجلَّاء كبار، منذ تأسيسها، يمثلون جميع المذاهب.

وفي التَّشكيل الأخير، أيضًا رُوعي ذلك، فتجد من كل مذهب من يمثِّله، وليس تمثيلًا شكليًّا، بل يُستفاد منه في فهم مسائل المذهب، إذا طُرحت في الأقوال واجتهدت هيئة كبار العلماء، فيكون عندها من كل مذهب من يطرح الرأي ويتداول معهم، ويصلون إلىٰ ما فيه الصَّالح العام للدَّولة.

المذهب السَّلفي ذكرت معاليك أنه مفتو علىٰ المذاهب الفقهية لكن في المذاهب العقدية؟

أمَّا في العقيدة، فالأمر مختلف، العقيدة لا اجتهاد فيها، لأنَّها أمور غيبيَّة. مذهبنا هو مذهب السَّلف الصَّالح، وهو ما كان عليه الناس قبل سنة 200هـ، حيث قال النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» [البخاري (ح3650)].

عقيدة السَّلف قبل ظهور إعمال العقل في الغيبيَّات، عقيدة السلف بالتَّسليم، فلا تخض في الغيبيَّات، آمن ولا تخض، آمن كما أنزلت. كما قال الإمام مالك لما سئل عن الاستواء: "**الاستواء معلومٌ، والكيف مجهول، والسُّؤال عنه بدعة**". فهذه قاعدة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورىٰ]. العقيدة السَّلفية واحدة، لا مشاركة في العقيدة؛ ولكن لا يبحث النَّاس في عقائدهم ولا يتتبَّعون النَّاس في عقائدهم.

لكن الدَّعوة السَّلفيَّة التي قامت عليها الدَّولة السُّعودية الأولىٰ، ثمَّ الثَّانية، ثمَّ الثَّالثة، نَصَّ عليها كل حكام المملكة العربية السعودية وأمتُها في ذلك.

وهنا بالمناسبة، نذكر استطرادًا مهمًّا، وهو أنَّ حكَّام المملكة العربية السُّعودية منذ الإمام محمَّد بن

سعود -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ- سمّوا أنفسهم بـ"الإمام". كان الدَّارج (أمير) "أمير الدِّرعية"، "أمير العيينة"، "أمير الرِّياض"، وغير ذلك، لكن الإمام محمَّد بن سعود اختار لفظ "الإمامة"، لأنَّ الإمامة منصِبٌ ديني، كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السَّجدة]، فاختار لنفسه لفظ الإمامة عن غيرها، وورثه في اللَّفظ أبناؤه إلىٰ وقتنا الحاضر. وهذا فرقٌ كبير بين الإمارة والإمامة؛ فالإمامة في الدِّين فهي إعلان واضح،

أمَّا الآن فما يسمّون بالإمام يُسمّون الملك.

نقول الدَّولة السُّعودية الأولىٰ والثَّانية، وكلُّهم إمام ابن إمام ابن إمام،

وولي الأمر في النِّهاية منصب أيضًا من مناصب الشريعة.

أستأذنك ننتقل في محطة مهمة في حياة السعوديين وكذلك مهمة للشيخ صالح:

في الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، شهد العالم حدثًا زلزل أركانه بانهيار برجي التِّجارة في نيويورك، في مشهد ارتدّ صداه في كل بقعة علىٰ وجه الأرض، ولم يكن الشَّرق الأوسط بمعزل عنه. في المملكة العربيَّة السُّعودية، شهدت البلاد سلسلة من العمليات الإرهابيَّة التي نفذها تنظيم القاعدة، مستهدفًا أمنها واستقرارها.

عام 2003 كانت البداية مع الهجوم الإرهابي الَّذي طال مجمَّعًا سكنيًا شرق العاصمة الرِّياض، أعقبه تفجير مجمع المحيَّا السَّكني في ذات العام. وفي عام 2004، تصاعدت وتيرة الإرهاب ليضرب مبنىٰ إدارة الأمن العام في حيِّ الوشم، في محاولة لزعزعة الأمن وإثارة الفوضىٰ. توالت الهجمات الإرهابيَّة خلال تلك الحِقبة، إلَّا أنَّ الضَّربات الاستباقية والعمليات الأمنيَّة الحازمة نجحت في تفكيك خلايا التَّنظيم وإحباط عمليَّاته.

أحداث متتالية هزّت المنطقة وغيَّرت ملامح الحياة الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة، تاركةً بصمةً لا تُمحىٰ وواقعًا جديدًا لا رجعة فيه.

معاليك يعني: كان التَّوقيت الذي كنت فيه وزارة الشؤون الإسلامية كان توقيتا صعبا تقريبا من عام ألفين، جاءت 11 سبتمبر وجاءت أحداث الإرهاب في السُّعودية وجاء الربيع العربي بعدها، لم تكن فترة عادية ومسترخية، كان هناك ضغوط علىٰ المملكة السُّعودية يجب أن تغيِّر من الخطاب الدِّيني.

زكنت معاليك علىٰ رأس وزارة الشؤون الإسلامية، يهمّني أسمع رأيك وشهادتك في هذا الموضوع.

موضوع تغيير الخطاب الدِّيني يحتاج إلىٰ وقت طويل؛ لكن يمكن اختصاره في أنَّ الخطاب الدِّيني يُتعاطىٰ مع أسلوب تبليغ الدِّين، وليس مع الدِّين نفسه.

الكثير من النَّاس يخلطون بين تغيير الخطاب الديني وتغيير الدِّين. تغيير الخطاب؛ يعني أسلوب مخاطبة النَّاس بالدِّين، أي: وسيلة إيصال الدِّين للنَّاس. فإذا كان نوع معيَّن من الخطاب الدِّيني صار يُفهم خطأً أو يؤدِّي إلىٰ نتائج خاطئة، فلا مانع من تغيير الخطاب الَّذي نصل به إلىٰ النَّاس دينًا، لكن دون المساس بمحتوىٰ الخطاب أو جوهر الدِّين.

أهم تغيير حدث بعد تلك الأحداث؟

تغيرت أشياء كثيرة: أوَّلًا مخاطبة النَّاس علىٰ قدر عقولهم. لاحظنا أنَّ مخاطبة النَّاس بأمور لا يستوعبونها قد تدفعهم للبحث عن تفسيرٍ لها لدىٰ جهات تفسرها تفسيرًا غير صحيح، ممَّا يؤدي إلىٰ الغلو بشكل أو بآخر.

لذا، أي ألفاظ أو حكايات أو مسائل قد تُفهم فهمًا خاطئًا يجب تبسيطها حتَّىٰ لا يُساء فهمها.

كذلك، الحماسة في الخطاب الدِّيني، خصوصًا في الخُطب، كانت تحتاج إلىٰ مراجعة. فعند الحديث عن السِّيرة النَّبويَّة، مثلا غزوة بدر أو غزوة الخندق، أو أحد الغزوات قد يتم تقديمها بطريقة تجعل الشَّباب يفهمونها خطأ، فيعتقدون أنهم مطالبون بفعل الشَّيء نفسه في عصرهم، ممَّا قد يدفعهم نحو مسارات خاطئة.

إذن، روح الخطاب يجب أن تتغيَّر؟

أي تأثير الخطاب علىٰ المستمع، وهذا هو جوهر تجديد الخطاب الدِّيني.

الذين خاطبونا بتجديد الخطاب وأنَّها أطروحة هناك من يخلط بين محتوىٰ الخطاب وأسلوب

الخطاب.

لكن المشكلة لم تكن في المحتوىٰ ذاته؛ بل في بعض الخطابات المتطرفة التي تحضّ علىٰ الإرهاب والتَّكفير. إلخ

نحن نقول: المحتوىٰ الذي كانت تتولَّاه الجهات الرَّسمية،

لم يكن المحتوىٰ غلطًا، المحتوىٰ صحيح؛ لأنَّه كلَّه مبني علىٰ الدَّليل وعلىٰ العقيدة السَّلفية، ومبني علىٰ الصّواب. لكن طريقة الأداء أحيانًا ..

هم لا يتَّهمون فقط الوزارة هم يتكلمون عن السعودية، يعني الخطاب الموجود في السُّعودية مختلف.

هذا نحن نتكلَّم عن الذي واجهناه؛ لكن أنت تنطلق إلىٰ نقطة أخرىٰ أكبر من هذه، وهي: هل كانوا محقين؟ هل كانوا صادقين في الرَّغبة في تغيير الخطاب، أم هو وسيلة للتَّحكُّم في الدِّين نفسه؟ التَّحكم في إيماننا بالقرآن؟ التَّحكُّم في إيماننا بالعقيدة؟

لذلك نجد مثلًا أنَّ الَّذي ثبت لنا، وكما تعلم، أنَّ الذين صنعوا الجماعات الإرهابية هم دول إقليميَّة وغير إقليمية، هم الَّذين صنعوا التَّفجيرات التي رأيناها. وتأكَّدنا وعرفنا، والدَّولة عرفت، والجهات الأمنيَّة أعلنت أنَّ التَّوجيهات جاءت من دول إقليميَّة وليست من الدَّاخل.

فهم عمَلوا إطارًا لتغيير محتوىٰ الخطاب الدِّيني، وليس مجرَّد وسيلة. يريدون تغيير المحتوىٰ.

أذكر مرَّة في وزارة الشُّؤون الإسلامية، وكان ذلك بعد أحداث 11 سبتمبر، حيث كانت تأتينا وفود كثيرة ترتِّب لهم الدَّولة بالتَّنسيق مع الجهات الخارجية. أحيانًا يكونون وفودًا كبيرة، أحيانًا 5 أو 6، وأحيانًا 10 أو 16، وأحيانًا جاءنا 40 شخصًا من مكان واحد أو أقل بقليل. فكانوا يناقشون موضوعات كثيرة، ويريدون التَّدخُّل معنا في الدِّين في كلِّ شيء.

مرَّة، أحدهم تحدَّث بعنجهية، وهو أجنبي وقال لي: "أنت وزير الشُّؤون الإسلاميَّة، متىٰ توقف الخطباء عن سبّ الدَّولة الفلانية؟" فقلت له: "إذا أوقفتُم هدم المساجد، وقتل الرِّجال والنِّساء والأطفال."

في تلك الأيام، كانت هناك حرب قويَّة علىٰ أفغانستان والعراق.

كان هناك توجيه مباشر للخطباء بمهاجمة الدول تلك،

لا، لكن الخطيب إنسان مسلم لديه غيرة، فيرىٰ مسجدًا مهدمًا، وأطفالًا قتلىٰ بلا سبب، بسبب قنابل عشوائية، والاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان، ويرىٰ ما يحدث ثم يتكلَّم. هم لم يتحدثوا قبل، لكن عندما وقعت الأسباب، تحدَّثوا.

أنتم مسؤولون عن معالجة الأسباب، لا تقتلوا المسلمين، لا تتلاعبُوا بعواطفهم، ثم تقولون: أنتم المشكلة. لا، المشكلة فيمن أثار السبب الذي دفعهم للتحدُّث.

الوقت بدأ يضايقني، أمر علىٰ محطات سريعة، ونستأذنك أن نأخذ تعليقات سريعة.

في عهد الملك فهد بن عبد العزيز يرحمه الله: تم تعيين معالي الشَّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وزيرًا للشُّؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدَّعوة والإرشاد.

في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز يرحمه الله: تجديد الثِّقة الملكية لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ وزيرًا للشُّؤون الإسلامية والأوقاف والدَّعوة والإرشاد.

في عهد الملك سلمان بن عبد العزيز يحفظه الله: تعيين معالي الشَّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ وزيرًا للشُّؤون الإسلاميَّة، والأوقاف والدَّعوة والإرشاد.

تعيين معالي الشَّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ وزيرًا للدولة وعضوًا لمجلس الوزراء،

تعيين معالي الشَّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ وزيرِ الدولة وعضوِ مجلس الوزراء: عضوًا لمجلس الشؤون السياسية والأمنية.

معاليك حظيت بثقة ثلاثة من ملوك السعودية: الملك فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ والملك عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ والملك سلمان حفظه الله. من هو رجل الدَّولة؟

الحمد لله..

رجل الدولة، في التَّعريف العلمي، هو مفهوم سياسي؛ لكن لعلي أولًا أعتز بثقة ولاة أمورنا، رحم الله الملك فهد والملك عبد الله، ومدَّ الله في عمر الملك سلمان حفظه الله، وأعان سموّ ولي العهد الأمير

محمَّد بن سلمان علىٰ كلِّ خير.

أنا معتز بهذه الثِّقة وامتداد هذه المدَّة الطَّويلة، وأسأل الله جَلَّوَعَلَا أن أكون جديرًا بأداء الأمانة تُجاه ربِّي أوَّلًا، ثم تُجاه ولاة أمري.

رجل الدَّولة في مفهومي - بالإحاطة طبعًا للتَّعريفات السِّياسية المعروفة-، لكنني أسقطه علىٰ المملكة العربية السعودية. رجل الدَّولة هو الَّذي يتَّصف بصفات رجل الدَّولة، ويختلف عن موظَّف الدَّولة.

رجل الدَّولة هو أوَّلًا الذي يعي مصالح الدَّولة الكُبرىٰ، ويعي واقعها، ويعي حالها من حيث القوَّة، ومن حيث النُّفوذ، ومن حيث واقعها الدَّاخلي، وواقعها الإقليمي، وواقعها الدَّولي. وهو يعرِف المصالح العُليا لها الَّتي لا تنفكُّ عنها بأيِّ حال من الأحوال مهما تغيَّرت الاجتهادات.

السِّياسة هي فنُّ الممكن، وتُعرَّف تعريفات عدة، ولكنها في جوهرها فنُّ الممكن في كلِّ زمان ومكان، بحسب حاجة النَّاس. رجل الدَّولة يستوعب فنّ الممكن، ويستوعب ما هو المتاح وما هو غير المتاح، ويستوعب القوَّة وكيف تكون، يستوعب في إطار ذلك كلِّه النِّظام الَّذي قامت عليه الدَّولة.

عندنا النِّظام الأساسي للحكم، وهذا النِّظام الأساسي للحكم استمرَّ مع جميع الملوك.

فرجل الدَّولة يتعامل في فهمه للدَّولة مع عنصرين:

- **عنصر ثابت**؛ وهو: النِّظام الأساسي للحكم،
- **وعنصر متحوِّل**؛ وهو: توجيهات ولاة الأمور:
  - إمّا في شرحه؛ فإما أن يكون في تفاصيل النظام الأساسي وجزئياته
  - وإما في حيثيات عينيَّة واقعية وقرارات.

لابدَّ أن يكون محاورًا يعرف كيف يكسب النَّاس لدولته.

دولتنا، الحمد لله، دولة إسلام، ودولة قويَّة. علَّمنا ولاة الأمور أنَّها دولة قويَّة، وخاصة في هذا العهد الزاهر. تعلمنا أنَّها دولة قوية، ولذلك لابد أن نشعر بهذا الشعور.

ورجل الدَّولة لابد أن يكون محاورًا جيِّدًا.

النُّقطة الأخيرة، رجل الدولة لابد أن يعرف كيف يكسب النَّاس لصالحه، لصالح دولته.

دولتنا دولة إسلام، قبلة المسلمين، فيعرف كيف يكسبهم.

فمثلًا: العالم أو الفقيه أو طالب العلم أو المسؤول الدِّيني الشَّرعي، لابد أن يعرف كيف يكسبهم في هذا الجانب، وكذلك رجل الدَّولة السياسي يعرف كيف يكسب في هذا الجانب، ورجل الدَّولة الاقتصادي يعرف أين المصالح العليا، وكيف يكسب، وكيف يحاور، إلىٰ آخره.

فإذاً، رجل الدَّولة هو من يسير مع جميع العصور، لأنَّه يوازن بين الثَّابت والمتحول، ويفهم الثابت بعمق، ويفهم السياسة الدَّاخلية والخارجية وتقلباتها، ويعرف كيف يتعامل مع المتحوِّل.

معاليك: عملت مع سمو الأمير محمد بن سلمان عشر سنوات، وعندي فضول لمعرفة هذا الأمير غير العادي في القرار، في الرُّؤية، في العمل. كيف رأيت تجربتك مع سمو الأمير؟

سمو الأمير محمَّد بن سلمان شخصٌ قويٌّ وبسيط، قويٌّ في المواقف، وبسيط في التَّعامل، لأنَّه يحب الصَّراحة والوُضوح والحُجَّة والمنطق، والواحد يتكلَّم بعلم، لا يتكلَّم بغير عقلانية.

أوَّل لقاء كان بسموّ الأمير حفظه الله، بعد مبايعة الملك سلمان بأسبوع طلبني، وأذكر أنَّه كان يوم خميس حول العصر، فذهبتُ إلىٰ مكتبه، وقال لي: "نبغاك ترجع لوزارة الشُّؤون الإسلامية، الملك حفظه الله يريدك أن تعود للوزارة."

قلت له: "طال عمرك، أنا خرجت من وزارة الشُّؤون الإسلامية باختياري، وقدَّمت استعفاء، وليس لي الآن إلَّا اثنان وخمسين يوما أو ثلاثة وخمسين يوما ما تنفَّست، فيصعب عليَّ أن أعود، لأنَّني أديت ما عندي، ولا أعتقد أنَّ لدي جديدًا أقدمه."

حاول، وأبديت له أنني أرغب في الرَّاحة، وأريد العودة للتَّعليم والتَّأليف؛ لكنَّه تفهَّم، ولكن لم تكن علىٰ محياه علامات الرِّضا. فقال لي: "طيب، خير إن شاء الله، سأخبر الملك."

وفي اللَّيل، عند السَّاعة التَّاسعة والنِّصف، أُعلن تعييني وزيرًا للشؤون الإسلامية. كنت أظن أنني قد سلِمت من هذا الأمر، لكنه كان تشريفًا وتكليفًا.

رآني سمو الأمير بعدها بيومين في مناسبة، وقال لي: "معليش، ترىٰ نمون عليك" قلت: سمع وطاعة أكثر من الميانة في هذا الأمر، نتشرَّف، ونسأل الله أن يعيننا علىٰ أداء حقّ الله جَلَّوَعَلَا، ثم حقوقكم الشَّرعيَّة.

سمو الأمير محمد يأخذني دائمًا إلىٰ أبعاد مختلفة. طبعًا، هو قد ملأ الدُّنيا وشغل النَّاس؛ لأنَّه صاحب مبادرات دائمة، وعقلية متجدِّدة، ويتحدَّث بطرق مختلفة، وعنده أفكار متنوِّعة. والذين ملأوا الدنيا

وشغلوا النَّاس من الحكام أو القادة في التَّاريخ هم قلَّة.

لاحظتُ أمورًا كثيرة، منها أمور شخصيَّة، ومنها أمور دينيَّة، ومنها أمور عمليَّة، وسأتحدَّث عن الذي أدركته وشفته ، كنَّا معه في معيَّته في رحلة إلىٰ مصر، رحلة رسميَّة. كان ضمن البرنامج، وأنا ضمن الوفد، وكان ضمن البرنامج زيارة الجامع الأزهر، فعلًا، ذهبنا إلىٰ جامع الأزهر، ودخل الأمير، وكان في استقباله فخامة الرئيس المصري وفضيلة شيخ الجامع الأزهر، ودخلوا.

وأرادوا أن يبدؤوا مباشرة بالكلام عن الجامع الأزهر والتَّرميمات التي حدثت فيه، فقال الأمير: "لا، تحيَّة المسجد! أين نصلِّي تحيَّة المسجد؟" فمباشرة دلَّه شيخ الأزهر علىٰ مكان، وصلينا تحيَّة المسجد. وكانت هذه لفتة معبِّرة جدًّا عن المنهج، عن التوجه، عن الالتزام بأداء العبادة، حتىٰ السُّنَّة.

حتَّىٰ الصلاة كنت أركِّز عليها وأنا أنظر، فكما تعرف، الصَّلاة عماد الدِّين، والتَّوحيد عبادة الله وحده لا شريك له، واتِّباع سنَّة النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، الأركان العملية أعلاها الصَّلاة.

سموّ الأمير في الاجتماعات، دائمًا الاجتماعات تكون بعد دخول وقت الصلاة، أي أنَّه عندما يدخل وقت الصَّلاة، نصلِّي، ثم تبدأ الاجتماعات التي يترأسها، ثم يأتي ونحن قد صلَّينا، أو يصلي معنا، ثم يبدأ الاجتماع.

دائمًا ألاحظ توقيته : يؤذن، وبعده بعشر دقائق أو ربع ساعة يبدأ الاجتماع، فنكون قد صلَّينا.

وأذكر أنَّنا كنَّا في سفر أيضًا، وكنا في الطَّيارة، وكان الوقت قبل المغرب بعشر دقائق. كنا جالسين في المجلس في الطيارة ونتكلَّم، وكان أمامه ابنه الأمير سلمان بن محمَّد بن سلمان. فنظر في السَّاعة وقال: "سلمان، متوضئ". فقال له: "لا". فقال له: " توضَّأ، المغرب بقي عليه عشر دقائق".

أشياء مفرحة، وبالنِّسبة لي مغتبط بها، وطبعًا هذه أشياء مفرحة ومهمة، وتدل علىٰ تربية فيها الالتزام. وهو رجل يحب هذا النَّوع.

يعني حسب معاصرتك له: "لو قلنا: أهم ميزة ملفتة في شخصية الأمير في صناعة القرار أو في..."

الآن آتيك إلىٰ الناحية الإدارية. من النَّاحية الإدارية، في مجلس الشُّؤون السياسية، طبعًا أنشأ هو مجلس الشُّؤون السياسية والأمنية، ومجلس الشُّؤون الاقتصادية والتنمية، لتكون رديفة لمجلس الوزراء.

علَّمنا شيئًا واحداً، وهو ألَّا تفكِّر في أي موضوع، ولا في أي استراتيجية، ولا في أي..= بنظرة ضعف.

المملكة قوية، المملكة ندٌّ، المملكة لا تكون ضعيفة أمام أحد.

فبرمجة التَّفكير في مجلس الشُّؤون السياسي والأمني، وبرمجة تفكير الأعضاء، تتغيَّر. فعندما يفكر الإنسان في مشكلة، فإنَّه يبحث عن المخارج، وقد تكون المخارج أحيانا ضعيفة أو خفيفة، ولكن تمَّت إعادة برمجتنا علىٰ القوَّة، وإعادة برمجتنا علىٰ التفكير بقوَّة، وأنَّ لدينا عزة، ونملك مقوِّمات أن نكون أقوياء، ونحن أقوياء فعلًا.

هذه الرُّوح وُجدت في مجلس الشؤون السياسية والأمنية، فصاغت كثيراً من الرُّؤىٰ الاستراتيجية، وغيرها.

أمَّا قوَّته في اتِّخاذ القرار، فأذكر مثلاً أنه في مجلس الشؤون السياسية والأمنية، برئاسته، كنَّا نناقش التَّقارير في بداية جائحة كورونا. ما الذي سيحدث؟ ما هو الموقف؟ كيف تتدرج الدَّولة في اتِّخاذ المواقف والإغلاق، وما إلىٰ ذلك؟

فسمع الأمير الجميع، استمع، استمع، ثم بكلمة واحدة قال: "قفِّلوا"، قال: "يتقفَّل كلُّ شيء". قالها بالإنجليزية، نسيت الكلمة، لكنَّه قال: "يتقفَّل كل شيء"، وانتهىٰ الأمر.

لم يكن أحد يتوقَّع هذا القرار القوي السَّريع في مسألة كان الجميع، حتىٰ المختصِّين، يبحثون عن حلول أخرىٰ لها، لكنه صاحب قرار، صاحب قوَّة في القرار الإداري.

أمَّا النُّقلة التَّقنيَّة، فقد نقل المملكة العربية السُّعودية إلىٰ مستوىٰ تنافس فيه أوروبا. نافسنا فيها أيضًا، وهذه نقطة مهمَّة.

النَّموذج -نموذج الجد والالتزام، والإنتاج- هو شاب الذي يتلقَّىٰ أكثر بالإلهام والتَّأثير: الشَّباب يتلقون أكثر، نحن تأثرنا وننتهض؛ لكن الَّذي يتلقَّىٰ أكثر هم الشَّباب، فهم يأخذون منه صفتين:

صفة الجد والالتزام، والوطنية الحازمة والاعتزاز بالوطن،

ويأخذون منه العمل الجادّ لتحقيق الأهداف.

الحديث ذو شجون، الحديث ذو شجون، لكن هذا ما خطر لي.

وقتي انتهىٰ وأنا أفاوض الشباب علىٰ دقيقتين أو ثلاث، لأنَّني لا أستطيع أن أتجاوز الحديث معك دون أن نتحدَّث عن الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم.

احكِ لي، من الصَّعب أن تتحدَّث بعجالة عن الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم؛ لكن أريد أن نتحدث عن هذا

الرَّجل، لم يكن اسمًا عاديًّا في تاريخ السُّعودية.

الملك سلمان سمعته عدَّة مرَّات يقول: الشيخ محمَّد بن إبراهيم عالمٌ كبيرٌ ورجل دولة، والشَّيخ محمَّد بن إبراهيم يتَّصف بصفات، سأُلخصها لك في أربع صفات لمكانته القويَّة، وهي كالتَّالي:

أوَّلًا: هو امتداد لمدرسة الإمام المجدِّد الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب، فهو حفيده، وحمل إرث هذه المدرسة بكلِّ ما فيها من عقائد وسلوك وتعامل مع الدَّولة وغير ذلك، فكان يستحضرها دائمًا في كل شيء أنَّ التَّوحيد عنده هو حق الله جَلَّوَعَلَا، وهو الذي يجب الاهتمام به علىٰ مستوىٰ الدولة ومستوىٰ النَّاس ومستوىٰ الإجراءات.

ثانيًا: تحقيق شهادة أنَّ محمَّداً رسول الله، وذلك باتباع الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وتحكيم الشَّرع، لذلك كان مسؤولاً عن القضاء ويدافع عن الشَّرع، وكان يرىٰ أنَّه لا بد من الحكم بالشَّرع، ولا بدَّ من الرُّجوع إليه، ويجب علىٰ الجميع أن يتحاكم إلىٰ الشَّرع، وألَّا يذهبوا إلىٰ القوانين الوضعيَّة التي اصطلح عليها الإنسان.

ثالثًا: التَّعليم، فقد كان حريصًا علىٰ التَّعليم الدِّيني جدًّا، سواء في الكلِّيات الشَّرعيَّة أو في المدارس للرِّجال والنِّساء، وكان حريصًا جدا؛ لأنه كان يرىٰ ذلك أمانة في عنقه تجاه الأجيال، ليكون لديهم فهم صحيح للدِّين ويتعبَّدوا لله جَلَّوَعَلَا بذلك.

رابعا: كان مخلصًا صادقًا أمينًا في التزامه بالنُّصح لولاة الأمور، بالمعنىٰ العام، فكان ينصرهم ويؤيدهم ويقف معهم، ويجمع النَّاس عليهم، ولا يخوض فيهم ولا يرضىٰ بذلك، فأطفأ الكثير من الفِتن منذ عهد الملك عبد العزيز.

وفي عهد الملك فيصل، خلال مشروع التَّضامن الإسلامي، كان يمثل مثلثًا مع طلابه عبد الله بن حميد في مكَّة، والشَّيخ عبد العزيز بن باز في المدينة، بينما هو كان في الرِّياض، وكانت حركة غير عادية.

هذا نوع من الانفتاح لمعالجة الصُّورة السَّلبية لأتباع الدَّعوة الإصلاحية للشيخ محمَّد بن عبد الوهاب. في عهد الملك فِيصل، تم تنفيذ فكرة التَّضامن الإسلامي، حيث وزَّع المشايخ، الشيخ محمَّد كان هو الرأس في الرياض، بينما كانوا هم في مكة والمدينة لاستقبال الوفود وغيرها، وكان ذلك نوعًا من ممارسة دخول العلماء الكبار في برامج ولي الأمر التي يريد تحقيقها، ومنها البرامج السياسية. وكان ذلك نموذجًا فريداً أن يكون العالم ستوعبا فكرة الدولة وفكرة ولي الأمر السياسية التي تخدم

الإسلام.

هل الشَّيخ صالح بن عبد العزيز بن محمَّد بن إبراهيم حفيد جده؟

هو حفيده نسبًا؟

لا،

بعض التَّأثر، ونقفو أثره وننسج علىٰ منواله، ونسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يجزي ولاة أمورنا خيرًا.

الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم كانت قوَّته في وقته نابعة من تمكين ولاة الأمور له، فقد مكَّنه الملك عبد العزيز، ومكَّنه الملك سعود، ومكَّنه الملك فيصل حتَّىٰ توفي، فهو بهذا التَّمكين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وجزىٰ ولاة أمورنا خير الجزاء.

سؤالي الأخير: كل من التقيته من القريبين منك أجمعوا علىٰ أمر واحد، كلهم يتحدثون عن عشقك للكتب بطريقة لم يشاهدوها من قبل،

صحيح؟

بل أبعد من هذا، ذكر لي الدُّكتور محمَّد مشوَّح أنَّ الشَّيخ صالح آل الشَّيخ يمتلك أكبر مكتبة شخصية في العالم العربي.

لا أزعم ذلك، لكن أعتقد أن عندي كتبًا كثيرة، وأهوىٰ جمع الكتب أحيانًا يحتاجه الإنسان للعلم، وأحيانًا يكون جزءًا منها هواية.

عندما تجد عندي مثلاً كتبًا فرنسية بعدد 2000 أو 3000 كتاب، وكتبًا إنجليزية بكميات كبيرة، فهذا ليس للاستفادة العلمية فقط؛ بل أيضًا للمراجعة والهواية. نعم،

أنعم الله عليّ أن أسرتي داخل بيتي لا تتضايق بسبب الكتب، بل تعينني عليها وتحب هذا الأمر، وهذا أشكرهم عليه؛ لأنَّها دخلت في كلِّ مكان، فجزاهم الله عنِّي خيرًا.

عبد الله جابر، عندما أخبرناه أن ضيفنا الأوَّل هو الشيخ صالح آل الشيخ، طلبنا منه أن يرسم كاريكاتيرًا يعبر عن هذا المعنىٰ، فرسم مكتبة الشيخ علىٰ شكل خزنة مليئة بالجواهر.

ما هي النَّوادر الموجودة في هذه الكتب. أنا أعلم أن هناك نوادر غير موجودة في أي مكان آخر، وهناك مخطوطات نادرة، فما أبرز المخطوطات والنوادر الموجودة في هذه المكتبة والَّتي لم نطلع عليها للأسف؟

والله، هي متاحة علىٰ كلِّ حال، لكن أنا مثلا مهتم بالمخطوطات، وخاصة أوائل المصاحف المكتوبة علىٰ الرِّق، لدي منها أوراق. طبعًا لا توجد مصاحف كاملة، ولكن لدي نسخ مكتوبة بالخط الكوفي، والخط المدني، والخط المنسوب، وأنواع الخطوط المبكِّرة. جمعت منها شيئًا خلال رحلاتي إلىٰ دول العالم، فعندما أجد مكانًا يحتوي علىٰ كتب، أحرص علىٰ زيارته.

بالمناسبة، ذهبت في رحلة إلىٰ العراق عام 1402هـ، وكانت الحرب العراقية الإيرانية في أوجِّها، وسكنت في فندق الرّشيد، الذي كان قد افتتح منذ سنوات عديدة. كنا نسمع أصوات القصف في اللَّيل، وكنت حينها صغيرًا، بعمر 23 أو 24 سنة، وذهبت هناك للبحث عن المخطوطات والكتب. القصَّة طويلة في هذا الشَّأن.

لدي أيضًا أوائل المطبوعات في العالم، ومنها أوائل المطبوعات العربيَّة في أوروبا، وأوائل المطبوعات العربيَّة في تركيا، وفي إيران، وتركستان، وإندونيسيا، وغيرها.

صحيح البخاري برواية أبي الوقت، عندك؟

صحيح كتبها سنة 504هـ بإسناده، ما بينه وبين البخاري إلَّا اثنين، وهي نسخة مهمَّة جدًّا، تحمل توثيقًا مبكرًا لنقل «صحيح البخاري» خطا وليس سماعًا، مما يمنحها قيمة توثيقية كبيرة.

لدي أيضًا مخطوطات لمشايخ الدَّعوة، ومن أهم ما أمتلكه - وربَّما لا يعرف أحد عن هذا الأمر - وهو ما زال في طور البحث في أصالته، مصحف كامل جلبته من أوروبا، وكان قد وصل إليها عن طريق العراق بعد الاحتلال الأمريكي وسقوط خزائن الكُتب هناك.

هذا المصحف مكتوب بخط الإمام سُعود بن عبد العزيز بن محمَّد بن سعود، وكان حينها وليًّا للعهد، وكتبه بالكامل من أوَّله إلىٰ آخره، وخطُّه جميل، يشبه خط سموّ الأمير محمَّد بن سلمان.

الإمام سعود هو الإمام الثَّالث للدَّولة السُّعودية،

وهذه المعلومة أذكرها لأوَّل مرَّة، وكانت سرًّا، وهو السبب وراء تصميم بوابة المكتبة علىٰ شكل خزنة، كما أشار عبد الله جابر.

شكرًا فضيلة الشَّيخ، لقد ضايقني الوقت، وكان لدي الكثير من الأسئلة التي كنت أتمنىٰ طرحها، لكنني ممتنٌّ لوجودك معنا.

شكرًا لك علىٰ إتاحة الفرصة، وأدعو لكم بالتَّوفيق. وأسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يحفظ ولي أمرنا الملك سلمان بن عبد العزيز، الحفظ والعناية الدائمة والشفاء، وأن يوفق سمو ولي العهد لما فيه الخير والسداد لدينه ووطنه.

شكرًا جزيلًا، والشُّكر موصول لكم جميعًا. وانقلوا عن الشَّيخ صالح آل الشيخ أنه يقول: "**السعودية دولة قويَّة**". والسَّلام عليكم.